

القـوة والحـق ايضـا

⁂

الى الاديب الفاضل الدكتور فؤاد حداد : ص ٢ ، الجزء الخامس من « الاديب » الصادر في مايو ١٩٦١

ما يزال ذا فائدة قول ارخميدس « لو وجدت نقطة في الكون تصلح مرتكزا لرفعت بها الارض علـى رافعة » . فانت اذا اعتمدت في تفكيرك على اساس ثابت معلوم جاءت النتائج القائمة على ذلك الاساس سليمة صحيحة .

والقوة شيء معلوم يمكن تحديده والاتفاق على معناه . وان تعريف الدكتور حداد للقوة بانها « فرض الارادة » يمكن الاخذ به ولا ريب ، وهذه القوة تعني قدرة الانسان على التوسع في تنفيذ رغباته الى حد او آخر مما تهدف اليه رغبته ويدفع خياله .

لكن الحق شيء غير واضح دائما ، فهو قد تغير في الماضي ويتغير الى الان . ولقد كانت حركة المجتمعات المتطورة حركة من الحق الثابت المضمون لفئة من الناس الى حق التعاقد الذي يسوي ما بينهم .

وهناك الحق الفردي وهناك الحق العام .

واذا كان الانسان مدنيا بالطبع ، وهذا امر اصبح واضحا ، فالصلة بين الحق الفردي والحق العام صلة واجبة لا يمكن الاستغناء عنها . فاذا اصطدم الحق الفردي بحق المجتمع ، ضيقا كان هذا المجتمع او واسعا ، وجب ان يتخلى الحق الفردي للحق العام ، شرط ان يكون ميزان الحكم في القضية بيد المجتمع لا بيـد فرد ، فأمرهم شورى بينهم .

والعالم كما قال الدكتور حداد « يسير خطواته الاولى نحو خلق راي عام مستنير » . فخير ما نعرف به الحق اليوم انه ارادة « الراي العام » ، او ارادة « الضمير العام » ، او على نطاق اوسع « الضمير العالمي » . وبصورة مادية قريبة ، يمثل الحق صالح المجموع الذي شذ عنه في الماضي ولا يزال يشذ الى الان صالح عدد محدود من البشر ، متسلطين ومستعمرين لا يفهمون الحق عند انفسهم الا انه ارادتهم وراحتهم وسعادتهم ، مهـما اضر ذلك بالصالح العام ــ الحق ــ الذي تهدف اليه ارادة الراي العام .

والذي وقع للاكثرية الساحقة من جماعة من امة ، او من العالم، ان هذه الاكثرية قد اكتشفت مؤخرا انه ليس من قدسية خاصة لهذه الفئة المحدودة من البشر التي فسرت « الحق » على انه صالحها وحدها ، فأيدته بالقوة تقرع بها ضعف المجموع العام صاحب الضمير العام فيرتد هذا مخذولا وكأن لا حول له ولا طول احيانا ، او كأن لا حق له في الحياة احيانا اخرى . بل قد يتهافت اكثر من ذلك فيكون « الحق » لديه دعم السلطـة الغاشمة وتأييدها والتسليم لارادتها .

وعلى هذا سارت « البشرية » جملة منذ كانت الى مطلع هذا القرن ، يصيح نفر منها احيانا صيحة الحق ، ثم تخبو صيحته وتذهب ريحه ، فيعود الناس الى ايمانهم الاول ، وكأن « ليس في الامكان ابدع مما كان » .

والخلاصة ان العلاقة بين الحق والقوة ، كانت غامضة ، وما تزال كذلك بعض الشيء . ولقد اكتشف البشر مؤخرا هذه العلاقة ، وكانوا عنها عمين . فالحق هو صالح الاكثرية، والاكثرية هي التي تملك القوة بعضلاتها وامكانياتها، ثم بآلاتها وتجاربها واختراعاتها .

الحق هو منفعة الصالح العام ، والصالح العام هو سعادة الناس وحريتهم ، وهم أنفسهم أصحاب القوة التي يجب ان تسند الحق ، فالقوة عندهم والحق لهم .

عمـــان

محمد اديب العامري

سوانح مسيحية

بقلم الدكتور بشر فارس
سكرتير عام المجمع العلمي المصري

* * *

يظهر بعد ايام لصديقنا الدكتور بشر فارس الشاعر الناثر كتاب باللغتين العربية والفرنسية يجمع بين الفن والادب والعلم ، عنوانه « سوانح مسيحية وملامح اسلامية » . موضوعه دراسة ست تصاوير تزين نسخة مخطوطة من كتاب « الاغاني » للاصفهاني كتبت في بداية القرن السابع الهجري . والتصاوير تمثل مشاهد مسيحية واسلامية فيتناولها المؤلف من جملة جهات . يبدأ بفن التصوير ثم يوضح معالمه بما كان تجري به الحياة العربية في عهد المخطوط : شواهد من الادب ، حوادث من التاريخ ، احكام من الدين الى غير ذلك مما يجعل الكتاب طرفة نادرة تزخر فيها الفوائد .

وقد بعث الينا المؤلف بمسودة النص العربي من الكتاب لنختار منها فصلا لقراء الاديب يقدم اليهم كباكورة . وقد استوقفنا حديث المؤلف عن « مسرات المسيحيين عند بيوت العبادة ومشاركة المسلمين » ومبعث هذا الحديث ان احدى تصاوير المخطوط تمثل فتيات يغنين ويرقصن في دير للراهبات في احد البلدان العربية . فاخذ المؤلف يبحث هذا اللهو قديما وحديثا في مصر ولبنان وسورية والعراق . ونحن نقتطف من هذا الحديث الفصل الخاص بلبنان المعاصر . (الاديب) .

* * *

تلك المسرات الريفية زاهرة شائعة في لبنان وسورية والعراق كما سترى . وما هي ــ عند التحقيق ــ سوى رجع لتلك الولائم الحافلة التي كان النصارى الاولون يقيمونها تشريفا للقديسين وتذكيرا بالشهداء، ولائم انحدرت من عادات الوثنية وقد تلونت بعقائد المسيحية حتى ظهرت لعهدنا هذا على ابواب الديرة والبيع والضرائح والمزارات . فلا شك ان هذه الاحتفالات ولائد عبادات متقادمة ، تنبثق من دفائن الشعور في مواقيت مقدرة لتحرك المسيحيين وعشراءهم من غير ملتهم ، فتدفعهم جميعا في حومة بشرية حامية تخرجهم ، الى حين ، من خلاف مذاهبهم الحاضرة الى رسوخ سنتهم الغابرة . فمن الخطأ ان يظن احد ان طلب اللهو وحده يحث المسلمين والدروز والنصيرية واليزيدية ، لعهدنا هذا ، على ملاحقة النصارى اذا هبوا الى مواسمهم المعقودة بالقرب من بيوت التعبد ، فالشغف بالمشاركة قديم وشديد . ومن دلالات شدته ان المسلمين لم يبالوا بغضب المتحرجين من فقهائهم وعلى راسهم ابن ثيمية ، فله قول معروف في ردع المؤمنين عن الاسهام في ابتهاجات النصارى .

هكذا ، تحت عنوان الوله الديني، يمرح الناس ويطعمون ويشربون ويغنون في مصر وكذلك في لبنان وسوريا والعراق. ومن الوان مرحهم الرقص ، وهنا يحسن التمييز : في مصر يتولى الرقص محترفات من القبطيات والمسلمات، يحاولن ان يسترن النزوات في حركاتهن ومواقفهن مراعاة لحرمة المكان كما قدمت من الوصف عن فرح المسيحيين في مصر . واما في لبنان وسوريا والعراق فالرقص وان كان دنيانيا لهو وثبة حرة اصلا تأتي من الشعب اندفاعا في شكل « دبكة » وطنية قد تستدرج الى حلقتها جماعة من غير النصارى .

هذا لبنان : في صيف سنة ١٩٥٦ نزلت ضيفا على غبطة بطريرك الموارنة بطرس بولس المعوشي في مقره البهي العلي بقرية الديمان فوق طرابلس . وذات فجر نبهتني ضجة . نهضت الى النافذة استطلع . فاذا لفيف من الشباب جاءوا في سيارة نقل ومعهم من الملاهي ناي وكمان وطبل ، ومن الفاتن كعاب مشرقة بثوبها القرمزي . كانت ترقص الدبكة في خفة هفافة وبيدها منديل ، كانه غسل بماء الزمرد ، يحوم حول شعرها المنثور . فما اسفت لعمري على هروب النوم من بين الجفون . وعلى الكعاب التف رفاقها يصفقون فيضبطون وحدة الايقاع ، وقد تنزهوا جميعا عن منكر الاشارة واللفظ . وكنت ترى هذا يطفر طفرة جامحة وهذا يزعق زعقة جارحة فتصيب حتى في رتوب نغم الترجيعة عنفوان الفتوة . كل ذلك دار تحت نافذتي في فناء الدير على خطوات معدودة من الكنيسة حيث كان يقام قداس الاحد . ما ابلغه دليلا على ما مر بك من رواية العمري في «مسالك الابصار» وهو يصف دير مار ميخائيل : «تتجاوب فيه الحان الاغاني وقراءة الرهابين» . والحق اني ما كتمت دهشتي ، فبادرني احد الرهبان بقوله : «ذلك الذي شاهدته يجري في كل يوم من ايام الآحاد، كلما عرج علينا شباب يهزهم السرور في طريقهم الى الارز . وكان الشباب ، الى زمن قريب ، يعرجون في مساء كل سبت ايضا » .

ولما شب النهار فجلست الى غبطة البطريرك كعادتنا في كل ضحى نشقق احاديث الادب والتاريخ ، وهو فيهما مترسل راسخ ، فأجاني في مفاكهة عذبة، اضحت مضرب المثل في ربى لبنان ، قال : « جاءني خبر الفجر ، فحزنني ان عينك ما شبعت من النوم ، وهل تشبع في دير ؟. . . . » بسمة طائرة ، ثم قال : «ان هذا التوثب الذي ضج به الفناء سليل الشعائر العبرانية ، تمكن على العصور فما انفك يدور في ربوعنا ، فكأني بنا غمسناه في ماء المعمودية فنصرناه . وما علينا : ان البيعة المارونية مستمسكة بروح المسيحية الاولى، فلا تنفر من العبادات الرفافة وقد امرت بها «المزامير» بهذا اللفظ : « سبحوا اسمه بالرقص . سبحوه بالدف والكنارة . . . سبحوه بالصنوج » . ان بيعتنا ابت ان

تتصلب ، فظلت موصولة بالشعب ، والشعب الماروني يعرف كيف يلف ورعه الصفي بالفرح النقي » .

قال السيد البطريرك كلمته فعدت الى نفسي : اجل تلك زينة من زينات الايمان ساذجة ، ولكنها ما ابعد اثرها في النفس ، قد تركتها امم تزمتت فجف ولهها حين تتلمس حظيرة الرب . وما اروع الوعد الذي يخطه للمؤمن ، في الافق البعيد ، القديس يوحنا فم الذهب اذ يقول : « ما اعطانا الله قدمين لنستعملهما في السعي الشائن ولكن لنثب بهما ذات يوم الى برج الملائكة » .

زينة ساذجة ذات اثر في النفس . فتذكرت ايام كنت اقصد الى لبنان مصطافا وانا صبي . خبرت اذ ذاك الوانا من اللهو كان الفتية يقبلون عليها في ساحة الكنيسة ، عند خروجهم من القداس في ايام الآحاد والاعياد : آيات بطولة هي اقرب الى غرور الصبية مع ما تقتضي من شدة الرجال ، منها المنافسة في قرع الاجراس ورفع «القايمة» (الثقل) بغير تقلقل ، ثم يأتي دور الدبكة المعهودة تدعو اليها «منجيرة» (ناي ريفي) ومزمار ودف . وكان اذا قدم اسقف ماروني الى القرية خفت اليه زمرة من الشباب ، فتراهم يدبكون وهم يخفرون موكب الاسقف حتى عتبة الكنيسة او بهو مقره ، وهناك يقومون برقصة «السيف والترس» تحثهم وتوقّع لهم «قرنيطة» (آلة نفخ افرنجية الاصل : كلارنيت) اضحت بنبراتها الحادة تزاحم «المنجيرة» العربية ذات الهمزات العذبة . هذا وكثيرا ما تستقبل سيوف تتضارب موكب عرس عند مدخل الكنيسة .

والعجيب ان كل هذه الضروب من الحبور الصاخب تقع تحت ابصار الرهبان والقسيسين من الموارنة ، فلا يستنكرونها بل تراهم ينشرحون لها مع انها مكروهة — من حيث المبدأ — بدليل ما ورد في «كتاب الهدى» الذي ضم في القرن الحادي عشر الميلادي ، باللغة العربية ، دستور الطائفة المارونية ، ففيه «واذا اقبلتم الى بيوت الله من قرب او من بعد ، فلا تكونوا فيها كفي لعب ولهو وغناء وضحك وقمار . وان رايتم احدا يفعل ذلك فلا تقربوه لانه من سهام الشيطان الذي يعوقكم عن التسبيح» . الا انه في الكتاب نفسه هذا ايضا : « ولله على النصارى تعييد الفصح ، يقومون فيه بالصلاة والتهليل ، ولهم ان ياكلوا فيه ويشربوا ويفرحوا على ان لا ياثموا ولا يخطئوا» . وهذا النص الثاني يسوغ حديث البطريرك .

* * *

تقع الدبكة في لبنان يوما هنا ويوما هنا عند الانتشار بعد صلاة الاحد او في اثناء اقامتها، وعند الاحتفال بعيد من الاعياد او ذكران قديس يكون شفيع القرية . وموقع الدبكة ساحة كنيسة او فناء دير ، يغزوهما لفيف من الناس جلهم نصارى ، يأخذ منهم السرور كل مأخذ يوما او يومين .

وانا اسوق اليك بعض الذكرانات : في شمالي لبنان (١) : كفرزينا ، ١٣ حزيران (يونيو) ، مار طانيوس البدواني ، وهو الذي يكشف عن الاشياء الضائعة ويحمي الاطفال — كفرحاتا ، ٢ ايلول (سبتمبر) ، مار ماما ، شفيع طلاب الزواج ، — حدشيت ، ٤ ايلول ، مار رومانوس ، في ذلك اليوم يغمس العباد خبزا من ذرة في زيت الزيتون ويذرون عليه رمادا — حصرون ، ١٤ تشرين اول (اكتوبر) ، مار لابا — في جبل لبنان : بيت مري ، ١٥ ايلول ، مار ساسين — المروج ، ٢٤ ايلول ، مارت (القديسة) تقلا — مسقة ، ٢٠ تشرين اول ، مار شليطا ، في ذلك اليوم يهجم العباد (وهم موارنة) بعد القداس على طعام يسمى «علفة» مباركة من القس، ومصدر هذه التسمية ان مار شليطا حارس انواع الحيوان — ترشيش، الذكران نفسه، وهناك يعايش الموارنة مسلمون يحسنون الدبكة — في كسروان : فيترون ، ٧ آب (اغسطس) مار ضومط ، شفيع المخلعين .

في كل هذه المواسم يدور شراب العرق حول اصناف من الطعام اللبناني . ولا يقل دورانه في اعياد مسيحية اخرى . وانا واصف لك عيدين منها ، الاول في اهدن بشمالي لبنان والثاني في اللقلوق من قرى كسروان :

في اهدن يعيد الموارنة عيد الصليب في ١٤ سبتمبر ، ولهم فيه منظر عجيب وشره يتقزز منه الحس المصقول . في الليل يتسابقون الى رفع نيران الابتهاج على رؤوس الجبل ، ولا يكاد الصبح يتنفس حتى تصعد النساء الى تلة تقوم عليها بيعة «لسيدة الحصن» . ويكون صعودهن على نهج «درب الصليب» (وهو سير مخصوص باحدى عبادات المسيحيين ، كأنهم معه يتنقلون من محط الى محط — وعددها اثنا عشر — تذكيرا بما عاناه السيد المسيح في طريقه المضني الى الاستشهاد حاملا صليبه) . اما الرجال فيلحقون بالنساء مزودين بشرائح من لحم الماعز والضأن . ومتى فرغ الجميع من حضور القداس في البيعة اقبلوا على اللحم نيئا ومشويا وعلى العرق مجلوبا في «الفيات» من زجاج يسع كل منها «الف» كوب . ثم ينحدر رهط من «القبضايات» الى القرية ليستقبلوا بطريرك الموارنة او من ينوب عنه من المطارنة . فهناك اذن جرجرة خيل وفرقعة بارود، تراسلان الضيف الجليل حتى قمة التلة . واذا انقضت الصلاة وانصرف الضيف جلجلت مظاهر العيد الى ان تتعب الشمس . فترى النساء يضربن في جرن ضخم لحم الخروف وقد عالجنه ببصل وبباقة من النعناع والصعتر ثم خلطنه بالبرغل : هذه هي «الكبة» المشهورة . واما الرجال فيميلون الى الدبكة فيشتبكون ، تحدوهم الحان تطلقها « قصبة » ، وكثيرا ما تقف فتاة في اول الشبكة فيقال لها «ماسكة الراس» تحض وترهف (ولعلها تبحث عن خطيب) — والدبكة في اهدن

---

(١) لاسماء القرى اللبنانية اطلب : انيس فريحة « اسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها » بيروت ١٩٥٦ . (٢) للمؤلف بحث فلسفي في الغاية الخفية للمفاخرة ، اطلب كتابه « العرض عند عرب الجاهلية » بالفرنسية ، باريس ١٩٣٢ ، ومقالا له في «تكملة دائرة المعارف الاسلامية» (مفاخرة) ، ليدن ١٩٣٧ .

اشواق ملتهبة

من ديوان « ورود الصباح » المعد للطبع

بت ليـلي ، ومنـي القلـب شظايـا تتمزق
للكتـاب ، الامـل المنشود عقـلي يتشـوق
ظامـىء العقـل الـى جدولـه الصافي المرقرق
رشفة مـن ضوئـه الشفـاف للروح المحـرق:
يستحـم الفكـر في افـق من الروح ويخفـق
يغمـر الانـات ـ بين الكتب ـ درسا وتعمق
اتمنى ابـصر الحـرف عـلى الطرس ... منمق
هو في كفـي .. ولكـن دونـه سـتر مغلـق
الهم المعنـى مـن الرمز كعطـر حين يعبـق
منبـع اليـأس عيونـي ، ان عينـي لـي مزلق
القي الليل عليها ... فـاذا بي مثـل زورق
وسط امـواج من الحـزن غضـاب تتدفـق
تائـه المجـداف حـيران وهـوج المـوج تصفق
بعـد الشاطـىء عنـه كـاد في اللجـة يغرق

القطيف ــ السعودية محمد سعيد الخنيزي

تسمى «الهوارا» ، وبينها وبين الدبكة الدارجة وكـذلك الدبكة المنسوبة الى جهة بعلبك فرق يسير ، قوامه ادراج خطوتين من خطا السير بين دفعتين من الدبدبة. والدبكات الثلاث تنحرف عن « سجحة » الدروز حيـث القفزات تلاحق النقلات .

هذا فى اهدن ، اما فى اللقلوق المعلقة على ارتفاع ثمانماية والف متر فترى حشدا يموج فى يوم عيد انتقال ستنا مريم الى السماء على أجنحة الملائكة. يأتي الخلق من كل صوب : الموارنةمن العاقورة وقرطباوتنورين، الشيعة من مزرعةالسياد واحيانا من بعلبك ، اهل السنة من مضارب الاعراب المنثورة فى تلك الناحية . يا لذلك اليوم الحافل ! يأتلف فيه الورع والقصف ، على امتداد الليل . وفى سحبة الفجر يرقـى النصارى الى الكنيسة ويتبعهم المسلمون ليعلقوا «النذور» فى حيطانها . ومتى علا النهار تزاحم النـاس فى السهل وشرعوا فى اكل الكبة والساجية ، هذه متخذة من لحـم الحملان يطيبه السمن ويغشاه اللبن الرائب . اما عن العرق فلا تسل . ثم يبتدىء اللهو: العاب من الفروسية، ومقارعة الابطال بالسيوف. ثم تأتي نوبة الدبكة يشترك فيها الرجال والنساء ، فرقة فرقة ، كل منها الى ملة ، ولا يلبثن ان تشتبك الفرق ، وسرعان ما يبرز من بين الصفوف فتـاة يسمونها «قمورة» للتحبب . فاذا ايقاع الدبكة يستشيط في حدود انغام يرسلها «مجوز» (قصبة مزدوجة) ودربكة . يا لوقع هذا اللحن فى اعصاب الجماعة ، فتصفق الايـدي وتزغرد الحلوق :

يـا غزيل يا بو الهيبـا   يـا هاوي يـا معذب آ
يا حليوة دنقت البـرد   لفينـي بطـرف العبا

وهنالك رقصة اقل هياجا : تجعل فتاة جرة على فرع راسها وتخط فى الفضاء اشارات لطيفة مصدرها تثن رفيق في الجوارح . ثم تفور العقول فيتحدى الرجال بعضهم بعضا ، ويتجمعون عصبة عصبة ، بعضها الى اسرة وبعضها الى ضيعة ، فتنعقد «مناظرات» تدور فيها المطاولـة فى مساجلة من الشعر العامي مرتجلة باهرة احيانا . وكثيرا ما تصير المباهاة الى صراع وضراب : تلك رجعات لا تـرد ولا تكبح لسنة من سنن الجاهلية ايام كانت العرب تسعى الى «المنافرات والمفاخرات» (٢) . بقي ان فى هذا العيـد المشهود تبدو النساء في الوان من الحلي والحلل، وللسنيات الاعرابيات منهن ــ ويلقبن بالزينات ــ ذوق أسلم من ذوق المسيحيات : يلبسن «المنتيان» وهو صدار من مخمـل او اغثر موشى بخيوط ذهب ، وعلى الراس مقنعة تتدلى وقد احاطت بالعيون برقها الكحل وبالاصداغ زوقها الخال .

القـاهرة بشر فارس

تـراثنـا العقلـي

بقلم عبد العزيز جادو

ما هو التحليل النفسي ؟

لعل افضل جواب على هذا السؤال هو ان التحليل النفسي معناه الكشف عن تيارات العقل الخفية ، ومكنوناته التي تتحكم في تصرفنا وسلوكنا ، والبحث عن اشياء مخبوءة ومكبوتة ومنسية ، وابراز او تقديم هذه المادة المستكشفة الى الوعي او العقل المفكر .

ان كل هذه العمليات العقلية التي تسير بثبات على الدوام ، والتي نغفل عنها ونجهلها تماما تسمى «العمليات اللاشعورية» ، وليس معنى هذا ان ثمة خطا معينا يفصل بين العقل الشعوري والعقل اللاشعوري ، اذ لا وجود البتة لشيء من هذا القبيل . ولقد تأتي فكرة او خاطرة في لحظة ما الى المستويات الشعورية من العقل ثم لا تمضي لحظة اخرى حتى تكون هذه الفكرة او الخاطرة مغمورة في الطبقة اللاشعورية من العمليات العقلية .

والعقل احد وظائف ، مثله كمثل الدورة الدموية وظيفة القلب والتنفس وظيفة الرئتين . ويمكن مقارنة العقل بتيار او مجرى مائي لا يتوقف ابدا ، ويتألف من مجرى علوي او السطح ، وجزء سفلي او تحت السطح . فالشعور هو الجزء المفكر الذي ندريه ونعلم به. اما اللاشعور فهو الجزء المجهول ، العميق ، ذو المراس الصعب . وفي العقل فكرات ثابتة محققة ، وفيه عواطف وغرائز ، وموضوعات ذات قيمة وذات اهمية ، تتجمع كلها معا وتكون ما يسمى بالعقد النفسية . وهذه العقد او مجموعة العمليات العقلية تحركها غرائزنا وتستحثها باستمرار ، فتتألف وتدور حول موضوع ما ذي اهمية كبيرة ، قد يكون هواية من الهوايات ، او مالا، او حبا ، او عقيدة ، او ما الى ذلك . فتظهر هذه العقد بين الفينة والفينة في المستويات الواعية او الشعورية ، ثم تنغمر مرة اخرى في المستويات اللاشعورية العميقة . وهي، في الحقيقة ، يمكن مقارنتها نوعا باوراق الشجر اذ تسقط على سطح نهر فتدفعها التيارات قسرا الى اعمق اغوار المجرى .

ويعالج التحليل النفسي في الاصل وعلى وجه الخصوص تلك المجريات المجهولة من العقل ، ويهتم بالنبش والتنقيب عن العقد الخفية او المكبوتة ، كما يهتم ايضا باشياء عقلية اجبرت على الخروج كرها من المجريات الشعورية الى الطبقة السفلية القديرة اللاشعورية من العقل التي لا تزال راقدة ليبرزها ويعرضها على الشعور .

تطور العقل اللاشعوري

ان العقل اللاشعوري اقدم من الانسان نفسه . ولقد كان من المعتقد ان العقل الانساني اللاشعوري بدا منذ بضع ملايين من السنين ، وربما يرجع تاريخها الى ذلك الوقت الذي كانت فيه الحياة المنظمة في بدء نشأتها . وكان سطح الارض تعلوه مادة رخوة غروية اشبه بنصنيض الوحل . هذه الفترة المبكرة جدا من الوجود في الحياة البدائية تسمى بالحقب الاركي او الابتدائي . ولقد تجرمت بضع ملايين من السنين قبل ان تتم المرحلة التالية من الارتقاء المتطور. وتتحكم هذه الطبقة السفلية من اللاشعور في الاستجابات البيولوجية الاساسية للتأثيرات الخارجية ، وفي الاستجابات المختلفة للخواطر والتأثيرات التي يتلقاها من العالم الخارجي.

ويلي تطور اللاشعور ما كان هنالك من زمن امتد من العصر الاركي الى العصر الهمجي ، عصر وجود الحيوان ، ويبلغ من العمر ملايين السنين . ولقد ابان التحول من الحياة البروتوبلازمية البدائية الى حالة الحيوان وهو مسئول بلا شك عن ميول ونزعات حيوانية فطرية تظهر من وقت الى آخر في السلوك الانساني .

وخطوتنا التالية في هذا النهج من الحياة تتميز بالانتقال من الحقب الحيواني الى الحقب الهمجي الذي استغرق بضع مئات من آلاف السنين . وقدر الانتقال من الهمجية الى حال الانسان بمائة الف سنة على وجه التقريب من الترقي الشعوبي . ويمدنا هذا بالخطوة الاخيرة من هذا الترقي السرمدي التدريجي منذ بدء الحياة الى الوقت الحاضر . والطور الذي اسلفنا الاشارة اليه من هذا النظام المركب للانتقال المتطور هو ذلك العصر المعروف بالعصر الاجتماعي . ويقدر عمر هذه الحقبة من الزمن على وجه التقريب بعشرة آلاف من السنين ، وهو العصر الثقافي في تاريخ البشرية المتمدن اجتماعيا .

فاذا وقفنا لنحلل سمات الطفل وميزاته وسلوكه نجد ان ثمة اشياء ثابتة لا يمكن ان تعجز عن التأثير فينا . فالحركات الغريزية في الطفل الوليد التي يقوم بها بشكل توقيعي تشبه تماما ، من عدة وجوه ، الحركات المماثلة في الكائنات المائية . ثم ان الصفات او السمات المتماسكة في الطفل تحاكي اوجه النشاط في المخلوق البشراني الشبيه بالانسان .

وقد يبدو كل هذا غامضا مستغلقا على الافهام ، او خيالا بعيد الاحتمال ، او شيئا تغلب عليه الصبغة العلمية، ولكننا حين نبدأ في تحليل الحياة وسماتنا وغرائزنا وسلوكنا نجد بكل تأكيد ان هناك اكثر من صلة علمية واكثر من حلقة نظرية بين الخليقة منذ وجود الانسان وما قبل وجود الانسان.

فالوليد البشري من مولده حتى بلوغه الشهر التاسع من حياته يكون النشاط العقلي الشعوري عنده معدوما . ولا توجد لديه الا تلك الاستجابات الغريزية والوظائف البيولوجية للحياة البدائية المنظمة ، وهذه الفترة تطابق

على وجه التقريب مرحلة التطور الاركية. وحياة الطفل من الشهر التاسع الى ان يبلغ السنة السابعة من عمره تطابق تماما فترة التطور الحيوانية . ففي خلال هذه المدة ينحصر نشاطه العقلي ويتركز غالبا في لذته وفي جسده . والمرحلة التي بين السابعة والرابعة عشرة من سني حياته تتفق على وجه التقريب مع المرحلة الهمجية التي سبق ان اشرنا اليها. وفي اثناء هذه الفترة من الحياة يكون للعبادة او الحب دور رئيسي تصوغه في الخطة العقلية . وبانتهاء السنة الرابعة عشر تبدا الفترة الاجتماعية التي يقوم فيها التكوين الاجتماعي للمراهق مع النمو الثقافي الطبيعي باداء الدور الرئيسي. وليست هذه المرحلة الا مجرد غلاف رقيق جدا اذا قورنت بالطبقة الرقيقة الاخرى من العقل اللاشعوري .

العقد النفسية

ان الاجسام الطافية في تلك الطبقات السفلية من العقل، او ما يعبر عنها بتعبير ادق باللاشعورية، هي مجموعة متعددة الاشكال لمظاهر العقل تنسب في الغالب الى العقد النفسية والعقدة ، كامر محقق ، ان هي الا وسيلة ملائمة ومريحة لعمليات عقلية نوعية معينة . ومن العقد المالوفة ، التي كثيرا ما نهتم بها ، والتي تكون نقطة البداية لكثير من مشكلات الحياة ، عقدة الحكاية العائلية . وهي كغيرها من العقد تنشأ في الغالب منذ الطفولة ، وتنمو مع الفرد . وهذه العقدة الخاصة بالحكاية العائلية تعني ببساطة الافكار والخواطر المختلفة والعواطف المتباينة التي تتركز في فرد من افراد الاسرة كالتي يركزها الابن في امه ، او التي تركزها البنت في ابيها ، او تلك التي تركزها الاخت في اخيها او العكس . وربما يعترض الفرد في اثناء حياته عقدتان او اكثر من هذه العقد ، اي انه قد يقع صراع من العقد . فماذا يحدث حين يقع هذا الصراع ؟ ربما تحدث اشياء كثيرة ، ولكن احد الاشياء المالوفة الكثيرة الحدوث هي ان واحدة من تلك العقد تضطر الى الهبوط قسرا الى اعماق اللاشعور. هذا الهبوط الاجباري او القسري يعرف بالكبت . ومن جهة اخرى قد تنال احدى العقد السيادة على الاخر فيرين على الصراع فترة هدوء مؤقتة . وعندئذ يحل الفرد صراعه مهما كان وكيفما يكن . اما اذا نزلت هذه العقد مجبرة الى مستويات اللاشعور ولم يقبلها الشعور او يسلم بها — اي اذا لم يكن هناك تفكير فيها او اي حديث عنها — فانها حتما ستكشف عن نفسها ان آجلا او عاجلا ، في حياة مقبلة على شكل اضطرابات عصبية . ولنفرض مثلا ، ان شابا بعينه وقع في حب فتاة صغيرة ، ملكت عليه مشاعره . وكانت هناك فوارق دينية وقفت في طريقه عقبة كئودا وبات من المستحيل ان ينتهي الحب بالزواج . هنا يكبت الشاب عقدة الحب من الشعور ويقصيها عنه — لا عن العقل — في اللاشعور . وبمعنى آخر ، انه لم يحل صراعه ، وانما كبت عقدة الحب . وقد يكون هذا الموقف سببا في تكوين اضطرابات عصبية بعد فترة من الزمن قد تطول او تقصر.

ومن ناحية اخرى ، هب ان هذا الشاب راح يحل صراعه مع العقد بموازنته باهتمام وبدقة الظروف الجوهرية فيها، وطفق يحلل الموقف من جميع نواحيه ومن زواياه المختلفة، واخذ يتحدث عن الامر ويتناقش فيه مع اصدقائه ولداته ، ومن ثم يعزم عزما اكيدا على ترك شكوكه العقيدية جانبا ، ويذعن للاشتهاء البيولوجي ، اعني الحب . فهو اذن قد حل مشكلاته ولم يكبت منها شيئا البتة ، ونظر الى المسألة برمتها باتزان وثبات ورباطة جأش . وانتهى منها بخير .

الرقيب

من داب الطبيعة على الدوام ان تحرس مداخل العقل الشعوري محاولة منع اشياء عقلية ذميمة او متنافرة ، وصدها عن المرورمن اللاشعورية،اشياء مكبوتة في اللاشعور منذ زمان مضى . وعن طريق نوع من انواع الرقابة تحاول ان تقي العقل الشعوري من عشرات الالوف من المكبوتات الصغيرة الاليمة ، التي تكون متنبهة دائما ومتيقظة ، تجاهد للحصول على اقرار واعتراف بوساطة الشعور. هذه الالة العقلية الخاصة تعرف «بالرقيب». وانها في الخدمة دائما، وانها لساهرة دوما ومتيقظة للمادة التي قد تمر من خلال البوابات ، اذا واتتها الفرصة . ويمكن ان تكون معظم الرغبات او الاشتهاءات اللاشعورية مكدرة ومنفرة ، وربما تكون متنافرة ايضا اذا قدمت الى الشعور بوقاحة وبجراة وبصورة سافرة غير مستترة . وعن طريق الحلم ترضي تلهفات اللاشعور واشتياقاته . كما انها ترضي اللاشعور باساليب اخر ، هي «احلام اليقظة» او الاوهام والتخيلات او الاضطرابات العصبية التي اشرنا اليها كالعصابات. ويمكن ان يتاثر الفرد باحدى هذه المسالك الثلاثة او يعانيها كلها مجتمعة معا .

ليس ثمة فرد الا وينغمس ان كثيرا او قليلا في «احلام اليقظة» او الاطياف الوهمية كما اصطلح على تسميتها. وكثيرا ما يستسلم بعضنا للاوهام لدرجة تبعث على التراخي والكسل وانحلال عناصر الشخصية ، تلك التي تنهض بالصناعة وتدعو الى النجاح والرقي . وكثيرا ما نلاحظ هذا على الصبي الذاهل، الغائب العقل، الذي يقيم عقله على «ارض الايهام النفسي» . وان كمية معينة من هذا النشاط العقلي مفيدة لكل فرد ، فهي ترشده الى الابتكار ، وتهديه الى الخلق والابداع في الفن والموسيقى وغيرهما .. وفي امكاننا جميعا ان نحصل على درجة ملحوظة من اللذة والغبطة والرضا عن طريق هذه العملية العقلية . اما اذا استولى هذا الانغماس في اللذة على التفكير والتأمل فستكون النتيجة فسادا في الطموح ، وسفها يستولي على عقل الفرد عبر حدود منفعته المميزة، وقد تطرا على الشخصية تغييرات خطيرة . ونحن لا يمكننا ان نوصد الباب في وجه نشاط العقل الواعي ونسمح للاشعور بالعربدة او بالقبض على السلطة الكاملة ، فقد يؤدي هذا الى كارثة ، وقد يجلب الكثير من التاعب والصعاب .

الاحـــلام

لقد خدمت الاحلام (١) دائما اغراضا على جانب كبير من الفائدة ، حتى لقد كان ينظر اليها فى تاريخ روما القديم واليونان نظرة خشية ومهابة . وكانت تعتبر ايضا وهما وخرافة . كما كان يرى فيها البعض تنبؤا بما سيأتي به الزمان من حوادث . وكان لكل جيش من الجيوش كتيبة من مفسري الحلم ، فاذا قاموا باي حملة عسكرية بدون ان يكون فى صحبتهم هؤلاء المفسرين يسوء حظهم وتذهب ريحهم .

وان دراسة التاريخ اليوناني والروماني لزاخرة بالحجج والشواهد على ان الاحلام كانت تدرس بعناية فائقة ، وباهتمام زائد قبل ان يحاط علما بأية مهنة او اي عمل مهما بلغت درجته من الاهمية . وكان الاسكندر الاكبر قبل ان يقلع بسفينته يستعين باعظم مفسري الاحلام في عهده .

وكثيرا ما لعبت الاحلام خلال تاريخ الانسان دورا عظيما فى مصير الشعوب والامم . ولقد اثر الجهل والخرافة على معنى الاحلام فى سائر الحقب . فلم تكن الاحلام حتى الجزء الاخير من القرن التاسع عشر والجزء المبكر من القرن العشرين ، لم تكن تدرس حسب الاصول العلمية ، ولم تطبق في تحليل السلوك الانساني ودراسة العقل البشري في جميع اطواره ومراحله .

وللاحلام طرازان رئيسيان : الاول ، وهو حلم التجربة او حلم الحالة الشعورية الراهنة التي يعيش فيها الحالم من جديد مرة اخرى فى خلال حلم بذكريات او حادثات مؤكدة أليمة مكبوتة او منسية . . والطراز الثاني هو حلم اشباع رغبة معينة او اشتهاءات تهفو النفس اليها ويحبوها الشعور

ومعظم الاحلام تخدم فى الاصل الغرض النافع والمجدي من اشباع الرغبة ، اي انها ترضي بقدر ما ، وبوسيلة ما ، المشتهيات اللاشعورية للنفس . وقد يكون هذا اشباعا بسيطا لرغبة عند الطفل ، او ارضاء عاديا للجوع او الظمأ او الحرية ، او الحلم باحدى وسائل اسباب الراحة والرضا ، او يكون حلما له خطة ما لاشباع الرغبة ، ويميل الى اخماد او تهدئة مشتهيات اللاشعور من حاجات ومطالب بيولوجية .

والحلم اما ان يكون صريحا ومكشوفا فى تكوينه ، او يكون معناه الحقيقي او الدافع الجوهري له مستترا ومكنونا . وهناك حلم يشبع رغبة الطفل ، اذ يرى فى حلمه تلالا من الحلوى والفاكهة والدمى ، ثم هناك حلم السجين بالحرية ، وحلم المسافر باسرته ، والجندي بوطنه . ومحتوى الحلم او مضمونه يتأثر الى حد بعيد بشخصية الحالم وتركيبه . اما فيما يختص بالاطفال فالحلم لا يهمه ان يستتر او يستخفي كالحال فى حلم المراهق . فكلما كان الرقي العقلي اقل كان الحلم اكثر ميلا الى الواقعية .

(١) للقارىء اذا شاء الاستزادة فى موضوع الاحلام ان يرجع الى كتاب « الاحلام والرؤى » للمؤلف فى سلسلة « اقرا » التي تصدرها « دار المعارف » بالقاهرة . (٢) راجع مقال « الحضارة والجنس » للكاتب بعدد اغسطس من مجلة « الاديب » .

ولذلك نرى ان الحلم عند المراهق المستنير او المثقف يميل دائما الى الرمزية العالية ، اي ان الدافع الحقيقي للحلم اما ان يكون ممعنا فى التستر ، واما ان تصونه الرموز ، وتحميه المؤثرات الميكانيكية التي تحرف المعنى او الشكل .

ونادرا ما نستطيع تذكر الحلم فى صورته الصافية ، الصريحة ، الحقيقية كما نراها فى حلمنا بالضبط . اما صيغة الحلم التي نذكرها او نسترجعها فتسمى المحتوى الظاهر . واما الرغبة الحقيقية الاصلية او المحتوى الكامن للحلم فيواريها منهج من الرموز معقد ومشوش . واما ما نسميه «الرقيب النفساني الداخلي» او ديدبان العقل ، فهو يقوم بالحراسة دائما ، ويسدل الستار على صورة الحلم ، فيحصل بذلك على تلك العثرة (الذلة) التي كثيرا ما تلاحق الحلم . ويميل هذا المؤثر الميكانيكي ، الذي نوهنا عنه ، الى وقاية فهمنا وادراكنا للحلم ، ويحجب الصورة الغامضة ، المبهمة عن الشعور . والمحتوى الظاهر للحلم ، او تلك الحكاية التي تذكر بعد الاستيقاظ ، ركب ورتب بحيث تتم الاستفادة ويعم النفع من اربع مؤثرات ميكانيكية هي ، الابدال ، والتكثيف ، والتدريم ، والتنقية الثانوية . وسنشرح كلا منها بايجاز فيما يلي :

١ ـ التكثيف : هو الميل الى تركيز الحلم كما يتذكر ، ومزجه فى وقت معا بافكار الحلم . وهذا يؤدي فى الغالب الى احلام خيالية وغريبة غير مألوفة .

٢ ـ الابدال : هو احد المؤثرات الميكانيكية للاشعور . وهو فعال ومحرف . واجزاء مادة الحلم القليلة الاهمية مجهدة ومحققة . وهذا ما يجعل عناصر الحلم الخطيرة وذات الاهمية تغيب عن انظارنا .

٣ ـ التدريم : اي الجنوح الى الفن المسرحي . هو استخدام الرموز واستعمالها للمنفعة لكي تخفي عن الشعور رغبات او اشتهاءات خاصة . او بمعنى آخر ، استبدال الجوهر الخام الكريه للاشعور ، بمهارة فائقة ، وبجمال اخاذ ، برموز خاصة تكون فى العادة غير واضحة وغير مفهومة لدى العقل الواعي .

٤ ـ التنقية الثانوية : هي تلك المعونة او الاعانة الاضافية للشعوب التي تعيد بناء الحلم في بعض النواحي ، حينما يكون الاحساس بالنفور من الحلم مضايقا الشعور ، بالاضافة الى انه ، من جهة اخرى يؤكد لنا دائما ان الحلم ، ولو انه ممض ، متعب ، ليس الا حلم وحسب .

الانسان مكافح دواما

ان حضارة بضع آلاف من السنين لم تضف الى اخلاق الانسان وسلوكه الا قشرة طفيفة خفيفة . فهو فى كفاح مرير دائب دائم ضد البواعث الحيوانية والرغبات الهمجية . وانحدارات ما قبل البشر متأهبة دائما ابدا للبروز من وراء الحجاب الاجتماعي الخفيف . فبوساطة الحلم كان للانسان اسهل وابسط اسلوب للتعبير عن هذه الشهوات المتأصلة . وكان القمع الضروري للتهيئة السوية

وللاصلاح الاجتماعي الطبيعي احد المؤثرات والمحرضات الحقيقية للانتفاع برموز الحلم . فالطفل مثلا ككائن اقل خبرة في الشئون الخاصة بالامور الدنيوية لا يحتاج الى تلك الاساليب الملتوية باللف والدوران حول قواعد وارشادات اجتماعية . ولكونه «همجيا صغيرا» لا حاجة مطلقا لتلك الوسائل من التعمية والتستر ، فهو لا يمكن ان يصدم بالشهوات الفطرية التي يمكن ان تؤثر تأثيرا مباشرا على عقل المراهق . فالرموز اذن هي التراث المتجمع والمحكم عمله منذ ظهور الانسان . ولكل عصر مجموعته من الرموز . ولقد طورت حضارتنا الحديثة الرموز واضافت اليها رموز العصور الغابرة فكان لنا منها مخزن غني عظيم في استطاعتنا ان نختار منه ما نشاء وقتما نشاء (٢) . والحلم الحديث غني بالمادة الرمزية التي يمكن ان تتأثر عصور التاريخ السحيقة التي ترجع بنا الى الصين القديمة ومصر واليونان والرومان . وكثيرا ما نجد من الاعمال الفنية ما يعبر بهذه اللغة الرمزية بوضوح اكثر مما تعبر به الاعمال المكتوبة . فمن الطبيعي اذن ان تكون احلامنا مركبة من موضوعات تقوم دائما مقام اشياء خاصة معينة في حياتنا .

اما الوسيلة الاخرى التي يمكن ان ترضى اللاشعور فهي عن طريق العصاب . وهو مؤثر آلي يتم بوساطته ارضاء اللاشعوري ، واشباع شهواته عن طريق اعراض خاصة وامراض وهمية . وفى العصاب ثمة نوع من الشهوات المتدفقة ترجع الى ايام الطفولة المبكرة – وكما يشبع الطفل اشتهاءاته ونزواته بالميل الخبيث المعيب الى الاخرين ، كذلك يفعل الفرد العصابي بوساطة شكاياته الذاتية . اما كبت الصراع الذي لم يجد حلا فانه يمهد السبيل للشكايات العصبية فيما بعد فى الحياة . وفى الطلبات الناشئة عن الحرب ثمة كبت للخبرات المؤلمة او الثائرة التي تبرز فيما بعد فى صورة شكايات عصبية غير صريحة . وبين الحلم فى هذه الحالات الشهرة والتبرير ، ويحاول ان يقدم الى العقل الشعوري طبيعة الاشياء الموجودة المكبوتة . وللعصاب درجات مختلفات ، بعضها راسخ ثابت حتى لقد يحدث للشخص تغييرات خطيرة يتسبب منها فى معظم الاحيان حال من حالات الجنون .

المبـــادىء

من كل هذا الذي اسلفنا القول فيه يمكننا ان نرى ان العقل فى حقيقة الامر ميدان حرب تتصارع فيه قوتان هائلتان . انه صراع بين ما قبل الانسان الاكثر بدائية ، وبين القوى او الدوافع الانسانية الاجتماعيـة . والاداة العقلية البشرية تحدث مجرى ثابتا او تفريغا للطاقـة . والغرض من هذا هو اشباع ميدانين عظيمين على اساسهما كان الوجود ، وكانت الحياة ، واي شيء يدخل فى حياتنا انما يعتمد على هاتين القوتين ، اولاهما : « مبدا اللذة » و « مبدا الواقع » .

يعبر المبدا الاول عن الصورة الاصلية للفعالية العقلية المشاهدة فى العصور المبكرة جدا من الوجود الانساني ، وهذه الصورة هي المطالبة على الدوام وبالحاح بامتاع الرغبات لكي تمد اللاشعور باللذة بغض النظر عما يتأتى بعد ذلك من تبعات ، ومهما كانت العواقب . واقرب مثل لهذا ما نشاهده فى الطفل الذي لا يهمه الا رغباته الخاصة فحسب ، والحاحه الدائب فى طلب ارضائها ، وذلك فى صورة غذاء او راحة او امومة . ولنذكر جيدا ان ليس فينا من تستعبده هذه السمة . وبملاحظة دقيقة يمكننا ان نرى هذه الشهوات الطفلية تستحوذ على المراهق بشيء من التحوير والتعديل.

وللوقاية من هذه القوى التي تحمل المرء على الاذعان لمثل هذه المؤثرات يتحتم عليه ان يقيم حدا ويبني سدا لتعويض هذه المشتهيات الطفلية حتى ولو لم يكن متحققا مما تكون اكثر هذه القوى . ولكن مع ذلك يفرض ستارا واقيا لصد الخطر الموجود فى كل آن .

واما «مبدا الواقع» من جهة اخرى ، فلديه من اجل موضوعه التكييف السـوي والتوافق الطبيعي للتركيب العضوي لمختلف الحقائق فى بيئته ، سواء اكانت مادية ام روحانية . ولكي يظل حيا يجب عليه ان يتبصر ويسلم بمطالب القطيع ، وبقوى الطبيعة ، وبالعوامل والمؤثرات المعقدة الكائنة في حياته والمحيطة به وببيئته . والعقل والمنطق هما الدعامتان اللتان يرتكز عليهما هذا المبدا .

فالتحليل النفسي اذن ، كقاعدة اساسية ، هو الكشف والتنقيب عن اغوار اللاشعور فى العقل ، والسعي فى البحث عن اشياء عقلية مكبوتة وتقديمها الى الشعور . وبهذه العملية الاستكشافية يجدر بنا ان نعود ، في كثير من الاوقات ، الى عهد الطفولة ، ويجب ان يؤدي البحث والتقصي الى اشياء مكبوتة منذ زمن ورسبت فى العقل .

واسلحتنا الرئيسية التي يمكننا ان نبحث بها عن هذه المكبوتات هي : الحلم ، والعملية التي تسمى «التداعي الحر المطلق» ومعناه بكل بساطة تلك الفكرات التي تخطر على البال حين يكون ثمة ايحاء ، ويكون الفكر مسموحا له بان يشت ويهيم على وجهه ، ويكون الفكر موجها ليبرز بنفسه ما فات من حياته ، ولا سيما تلك الفترات التي يكون قد وقع له فيها حادث مؤلم او شاذ . وبعد ان تستبين هذه الاشياء العقلية المكبوتة ، وبعد ان تحل تقدم الى الفرد فيأخذ فى التأمل والنظر فى الامر برمته نظرة مختلفة متزنة، بروح رصينة رزينة وبجأش رابط رابض .

وباعادة تنظيم «مبدا الواقع» بالطريقة التي يتطلع بها الانسان الى الاشياء ، سيكون فى امكاننا فى كثير من الاحيان ، ان ننحي عن انفسنا صفات عقلية مضنية. ولا يشمل هذا بالطبع الا الحالات العقلية التي لم تؤسس على تغيرات ثابتة فى المخ وفى العصابات التي لم يرتد بها الفرد الى المستوى الطفولي او الصبياني لكي يضمن لنفسه اشباع مشتهياته اللاشعورية .

الاسكندرية **عبدالعزيز جادو**

صـدى تيتـوف

- ١ -

عرج النبي الى الفضاء بروحه
بخياله المراع غب تأمل
واليوم يصعد تيتف بسفينة
من صنع آدم سابحا بجحافل
ماذا نروم من الفضاء ، تنازعا ؟
أفلا اكتفينا بالثرى المتخاذل
بالداء يذوي جسمنا ، بمصائب
وترى ، ومين قاتل ومهازل ؟
شتان ما بين النبي ورائد
لفضائنا يسعى بحد صياقل
فنبينا زرع الفضاء محبة
ورفيقهم ذر الدنى بهوائل

- ٢ -

في كوننا زاويه
أحببتها زاهيه
يا لونها الفاتن
يغلل الرابيه
من الفضا تيتف
أحسها حانيه
تدب فى قلبه
شوقا مع القافيه
ألم يقل تيتف
بانها ساميه
لم يرض الا الثرى
لم يبغها فانيه
وليلنا طائل
نهارنا الراويه
ووزننا ريشة
في هبة الهافيه
هناك فوق الفضا
عوالم راضيه
لم نبتغي عالما
يلهو مع الطاغيه ؟
كالبرق تعدو سنو
ه ، تحمـل الفانيه

- ٣ -

لنا الثرى كلنا
لنا السما العاليه
للطير للصخرة
للماء فى الخابيه
للنمل للنعجة
للهرة الجانيه
للزهر ، للنجمة
تشدو مع الساقيه
من ارضنا كلنا
نستنشق العافيه
وواحد روحنا
من ربنا ساريه

ثريا ملحس

ضمير الذئب

بقلم عدنان الداعوق

قد لا تكون كلماتي هذه آخر شيء لي في الحياة .. وقد لا تكون كلمة الوداع لهذه الحياة الطويلة الحافلة التي عشتها خلال السنوات الثلاثين من عمري . ولكنني بهذه الكلمات ، وبهذه الرسالة اودع ردحا طويلا من عمري ، فان عدت للحياة من جديد فستكون هذه الرسالة امامي كلما خطوت خطوة ، وكلما مشيت في درب الحياة الطويل .. ان كتب لي ان اخطو او ان امشي مرة اخرى .

وان لم اعد فربما وقعت هذه الرسالة في يد شاب مشى اول الدرب الذي مشيت فيه فوجد فيها بعض العبر ، وبعض ما قاسيت من آلام ، فاتعظ وثاب الى نفسه ، وكفر عن ذنوبه وخطاياه قبل ان يستمر في الدرب المضني الاليم الذي ترديت فيه .

*

نشأت في بيئة صغيرة مؤلفة من والدين كان همهما الوحيد ان اعيش عيشة مرتاحة ، وان انال اكبر قسط من سعادة الحياة ، وكان والدي يعمل محاميا .. كان لامعا في المدينة سجلت له اوساطه نجاحا هائلا ، فاكتسب من وراء ذيوع صيته وعلو شانه مكانة مرموقة يحسد عليها .

وكانت امي انسانة بكل معنى الكلمة، لم تحب شيئا في الحياة مثلما احبتني ، لانني كنت الثمرة الوحيدة لها من والدي بعد زواج ناجح دام سنوات ..

بل انني كنت اشعر تماما انها تحبني اكثر مما تحب والدي، وتسعى كل طاقتها لتوفر لي الهدوء والراحة والرضى الذي كنت انشد مذ كنت طفلا حتى صرت شابا .

كانت هذه هي البيئة او العائلة التي ربيت ووجدت نفسي فيها ركنا من اركانها الهامة .

وافقت في يوم من الايام لاجد امي تبكي وتنتحب في غرفتها ، ولمحت والدي مسجى على فراشه ، يعوده اكثر من طبيب .

وسمعت عبارات مقتضبة مختصرة بأن والدي بحالة خطيرة،وقد لا يرجى منه الشفاء . ورقد والدي في سريره اكثر من اسبوع ، واستمرت امي تبكي وتنتحب كلما خرجت من غرفته ، وتمسح دموعها وتعلق على ثغرها ابتسامة مصطنعة كلما قابلتني او كلما عادت اليه مرة بعد مرة .

الى ان وقعت الكارثة المرة صبيحة احد الايام ، ففارق والدي الحياة بين ايدي اربعة من اصدقائه الاطباء .

ولبست امي السواد ، واصطبغ بيتنا الكبير بالحزن والمرارة والاسى والدموع ..

ولم يطل هذا الحزن والبكاء طويلا .. فما ان انقضت ايام معدودات على وفاة ابي حتى سقطت امي في الفراش مريضة حزينة .

وسمعتها تقول ، وربما كانت تلك آخر كلماتها التي سمعتها :

— « الحقني به يا الهي .. لن يطيب لي العيش بعده .. اما احمد ، فأنت القادر الوحيد على رعايته .. لن اخاف عليه بين يديك يا الهي .. »

وفارقت الحياة ، بذات البسمة الساحرة التي كانت تدخل بها على والدي يوم كان مريضا في فراشه .

*

وهكذا ، بسرعة مذهلة تحطمت العائلة الصغيرة التي وجدت نفسي فيها ... وماتت جميع آمالي وصور سعادتي التي بنيتها منذ ان وعيت الحياة بصورها المختلفة المتباينة .



كنت اتمنى من الله ان لا تموت امي قبل ان تراني وقد بلغت شابا يافعا ودخلت الجامعة .. اذ كان موتها قبيل ظهور نتائج امتحانات الشهادة الثانوية، فجلست في المنزل الكبير حزينا مكتئبا ، ادعو الله ان يأخذ بيدي ويكتب لي النجاح .

وكان لي ما دعوت الى الله .. فلباني المولى، وانزل في قلبي الصغير الحزين بعض الرضى وبعض السرور.

لم افكر طويلا بالمصير الذي سوف اقدم عليه ، ولا بالحياة الجديدة التي ساحياها بعد ان فقدت عزيزيّ الغاليين .. فقد ترك لي المرحوم والدي ثروة لا بأس بها ، وتركت لي امي دعاءات كثيرة قبل ان يجمد لسانها في فمها وهي تذكر اسم الله معينا في محنتها الاخيرة .

فحملت نتيجة امتحاني وقد تنازعتني صورتان ، احداهما كئيبة سوداء موحشة ، والاخرى مقبلة جديدة تبشر بغد يبتسم ملوحا بانقضاء عهد المآسي ، والدخول في حياة الجد والمثابرة والنجاح .

دخلت كلية الطب ، وتلك كانت احدى امنيات امي ، فقد كانت تقول لي دوما :

— « امنيتي ان اراك طبيبا يا احمد . طبيبا ولا ككل الاطباء في البلد . » ووجدت نفسي انني بهذا ابعث اليها باخلاصي وهي في مثواها الاخير .

وبكيت اول ليلة عدت فيها من الجامعة حتى الصباح .. ولم يغمض لي جفن او تنام لي خاطرة .

ولكنني وجدت في حياتي بالكلية بعض التسلية والترفيه عن حياتي القاتمة .. وربما كان من حسن حظي انني استقبلت حياتي تلك وانا متفتح الافكار ، لدى طاقات هائلة من الوعي والثبات والاقدام .. حتى انني لم اشعر بأي حرج وقد وقفت وحيدا في هذا العالم .. علي ان

أصارع ، وأن اتحدى ، وان اقاوم لاثبت انني استطيع واستطيع ان اعيش ، وان استمر في الطريق الطويل .

كان علي ان التفت الى دروسي التفاتا كليا ، وان اصب جميع افكاري واحصرها في الغاية التي انا مقدم عليها .

ومرت الايام الاولى ، ودراستي في الكلية موفقة للغاية ، حتى انني حزت على اعجاب المدرسين، وتفوقت على غالبية زملائي .

ولكنني — رغم انني كنت في منتهى السعادة في دراستي ونجاحي، الا انني كنت اشعر بتعاسة خانقة تكاد تودي بحياتي الى الجحيم .

فحياتي في المنزل قاتمة، ووحدتي التي تشاطرني ايامي احس بها دوده كبيرة هائلة تنخر في قلبي ولا تترك فيه حتى النفاية .

لا يشاطرني المنزل كله الا صورتان للغاليين الراحلين تتصدران جدار الغرفة الكبيرة ، وشحنة هائلة من الذكريات اينما اتفق لي ان اجلس ، وحيثما وقفت بي الايام والساعات ، وركبت قطار الذكرى الاسود، فجعل يطوف بي من مرفأ لمرفأ .. وكل المرافىء قاتمة وجلها تسبح في بحار من الدموع المحرقة .

وكانت تقوم على خدمتي عجوز لم اعرفها الا في بيتنا ، اتلفت الحياة فيه وتمرست على العادات والتقاليد التي لم يحاول احد من افراد العائلة الصغيرة ان ينبذها او يستبدلها او يطور منها ايضا .

وكثيرا ما كنت اسهر الليالي الطويلة حتى مشرق الشمس، تشدني سحابات افكاري من سماء لسماء ، فارتد من كل واحدة بعد ان يبللني المطر ، ولا اقبض في يدي سوى حفنة من ريح .

وكنت محبوبا ومحترما في الكلية الى اقصى حد ، وكان يتسارع الرفاق الى مصاحبتي والفوز بودي الذي كان لديهم كالانتصار العظيم .

وكان الوحيد من بين كل هؤلاء الزملاء من استطاع ان يدخل قلبي ويحتل الجزء الاكبر من افكاري زميلة اسمها «غادة» سمراء كالسنبلة الناضجة قبيل الحصاد .

كانت تملك سحرا في الكلام ، وروعة في الحديث والتعبير ، وتولد عند كل من يجالسها رغبات ورغبات .

وجسدها الناضج المتلىء كان يفضح بعضا من هذه الرغبات ، فيصرخ منها الزملاء ويستجير منها البعض بالله والملائكة .

ولا ادري لم آثرتني على غيري من كل المعجبين ، ربما لاني لم اكن متهافتا عليها كالاخرين .

واقتربت مني ... واقترب موسم الحصاد .

وقلت لها هامسا ، وقد انفردت بها عن بقية الشلة :

— هل ترغبين ان تكوني سيدة هذا البيت يا غادة .. ؟

قلت لها رغبتي هذه حين أحببت ان تكون اكثر قربا مني .. فقد اقمت حفلة صغيرة في منزلي ، فدعوت بعض زملائي لاجد بينهم « غادة » في منزلي ، قريبة مني .

كانت في المنزل الكبير اشبه بالهرة المدللة .. كانت تقفز من غرفة لغرفة، ومن مكان لمكان مبدية اعجابها الكبير بمنزلي وبوجودي فيه .

وحين اعلنت لها رغبتي لتشاطرني المنزل الذي اعجبت فيه ، لم تجد العبارة المناسبة .. فأسرعت افسر لها :

— نتزوج ، ونحن ندرس الطب معا .. ونعيش في هذا البيت سعداء سعداء .. وقد حرصت اشد الحرص الا تبدو السخرية المرة واضحة في لهجتي ، فقد كان من السخف الشديد ان افكر بغادة كسيدة لهذا البيت الكبير الذي فقد سيدته الوحيدة .

وابتسمت «غادة» بعد ان سمعت كلامي ، بغبطة خجلى ، واحمرت وجنتاها وهرعت من المنزل قبل ان تفلت من يدها امنية جميلة حلمت بها كل عذراء ...

*

وتوطدت بيني وبين « غادة » الصداقة ، وجمعنا الحب في بيتنا .. وطوتنا الليالي الصامتة بردائها الكثيف .

الى ان كانت ليلة احترق فيها الحصاد ، واشتعلت نيرانه تلهب الاجواء .. ولا تترك في الحقل الا الرماد .

والتقينا في اليوم التالي في الكلية ..

كانت « غادة » في منتهى السعادة والحبور يرفرف على وجهها بريق ساحر ووجد عميق . حدثتني طويلا، ولكنني لم انصت اليها .

لا ادري لماذا تبدت لي قبيحة كئيبة ، هائلة الدمامة .. نهرتها اكثر من مرة وقلت لها ان تبتعد عني وتتركني وشأني ..

والتفت بعض الزملاء على مناقشتنا .. وكانوا يتهامسون :

— ان غادة تريد ان توقع احمد .. ولكنها لا تدري ان قلبه قد من جلمود . وفي المساء جاءتني «غادة» الى المنزل .. ولما فتحت لها الباب : تبدت لي حزينة وقد ضيعت اثمن ما في حياتها.. وكانت دموعها ترسم صورة واضحة للمأساة .

ولم اعبأ بها .. نهرتها ، ورجوتها الا تأتي الى المنزل الا اذا دعوتها . وقلت لها :

— انني آسف يا غادة على ما حصل .. اعتقد انه ليس بامكاني الزواج منك الان . وغابت عن عيني فجاة .. وصفقت الباب وراءها .. وعدت الى غرفتي اضيع بعض حزني في الخمر والشراب .

وتمرست بي عادة السكر .. ووجدت في الكاس سلوى ولذة ، وادمنت حتى لم يعد بامكاني ان امضي الليل الا والكأس رفيقي وانيسي .

وسمعنا بعد ايام قليلة في الجامعة ، ان « غادة » احدى طالبات

كلية الطب ماتت منتحرة بأن قطعت شرايين يدها دون ان يعرف احد سبب انتحارها .

ولكنني كنت الوحيد الذي يعرف .. ولم استطع ان اتفوه بحرف، فقد كنت وحدي السبب في سبب انتحارها .

*

وابتدأ الضمير ، ضمير الذئب ، ينتعش في اعماقي ويستيقظ ..

وابتدأت اغرقه واميته بالشراب والسكر ومعاشرة النساء .

كنت اريد ان اطفيء حياتي ، ولم اجد غير الخمرة والمراة مأوى وملجأ ...

تعرفت بامراة متزوجة ، وصارت تاتي الي كل يوم وتمضي معي اغلب الليل وتعود قبيل ان يعود زوجها العامل الليلي الى المنزل.. واصبحت شبه زوجة شرعية لي .

ثم تعرفت بفتاة ذكرتني « بغادة » العاشقة المسكينة التي انتحرت في ليلة صامتة ووجدت في العاشقة الجديدة رغبة جديدة جامحة .

واعلنت لها رغبتي فامتثلت لاحلامها الشابة اليافعة .. واحببنا بعضنا .

ولم ادر لم ارادت الاقدار ان تتكرر المأساة معي مرة اخرى.. فقد جاءتني يوما الى المنزل وكنت اغمر نسياني واحزاني وضميري في وحل كأس مترعة ..

واحبت ان تداعبني بالشراب ، فقدمت لي كأسا ، وقلت لها :

ـ دونك هذه الكاس يا «سلمى».. ان كنت تحبينني فبرهني على ذلك باجترائها حتى الثمالة ..

فأخذت «سلمى» الكأس من يدي، وافرغتها مرة واحدة في جوفها .. ثم ما لبثت ان رمت الكأس على الارض ، وارتمت بين يدي وهي تتمتم سكرى :

ـ متى سنتزوج يا احمد .. متى ؟

وهبطت عاصفة عاتية من النيران على الحقل .. وكان الحصاد هشا يابسا جافا ، وكان طعمة رائعة للنار.

وبعد لحظات قصيرة كان الحقل.. كل الحقل رمادا .

وعند اول بشائر النهار ، كنت اترك «سلمى» عند المنعطف القريب من منزلها وهي لا تكاد تتبين الصور القريبة منها الا خيالات واهية من اثر السكر والشراب .

وكانت تلك الليلة آخر عهدي بسلمى ...

فقد اعلمت خادمتي العجوز ألا تسمح لها مرة اخرى بالدخول للمنزل حيث اضحت كلمة « متى نتزوج » تتردد وتتضخم اصداؤها ، وتملأ



عدنان الداعوق

•

نفسي حقدا وكراهية على كل من تحاول ان تصبح زوجتي وسيدة هذا البيت .

*

واستيقظ الضمير ، ضمير الذئب ، مرة اخرى .. فنحيته عني واغرقته ، ولكن شبح ظله ظل يطوف فوق بحيرات ايامي فيوقظ في المأساة ، ويوضح لي ما جنته يداي الآثمتان .

احترت في امري ، وضاقت بي الدنيا، وتمثل لي الموت بأبشع الصور واحلاها .. ولكنني كنت في منتهى الجبن والخذلان ، فما ان اقترب منه حتى اهرب .. ثم اعود فأهرب من جديد .

لم اعد استطيع الحياة ولا اقوى على الهرب لانني اضعف بكثير من ان اهرب .. فالهارب ، حتى الهارب يحتاج الى قليل من شجاعة ، اما انا فلم يكن عندي منها ذرة واحدة .

تمثلت لي حياتي المحطمة واضحة .. طالب في كلية الطب بالسنة الثالثة ، وابن احد كبار المحامين المشهورين بالبلد ..

ما نهايتي .. وما مصيري ... ؟

قررت ان اهرب من اسهل الطرق وان انزوي عن العالم وان انقطع عن رؤية كل الناس ، واقبع في وحدة بعيدة اجتر مآسي وذكرياتي وآلامي .. وافرغ ما لدي للايام فهي خير من يفهمني ويعينني على النسيان .

تصنعت المرض ، فذهبت الى طبيب الكلية اعلن له ان بي مرضا خبيثا ، وقد لاحت لي بشائره منذ القريب القريب .

ولجأت الى حيلتي هذه هربا من الجو الذي اعيش فيه .

وتمثلت احد المصحات خير مكان يؤويني ، فابتعد عن مسرح مآسي وجو آثامي واعيش في البعد ، وقد اشعر هناك بالراحة .

وبقيت تحت الكشف الطبي اكثر من ثلاث ساعات ، واستدعى طبيب الكلية اثنين من زملائه، وجعل الثلاثة يكشفون علي .

وفي النهاية ، اقترب الطبيب مني وقد لاحت على وجهه بوادر الحزن العميق والالم المفضوح ، وقال لي :

ـ يجدر بي ان اصارحك الحقيقة يا احمد .. انك مريض بالتدرن الرئوي ، وفي الطور الثاني منه ، وليس كما حسبت انت .. علينا ان نبعث بك الى احد المصحات لتمكث هناك عاما كاملا .. ويمكننا بعد ذلك ان نجري لك عملية استئصال رئتك اليسرى التي اصبح الامر ميؤسا من شفائها .

رياح الظهيرة

* * *

فتح الافق في المدى الطلق عينيه ، وللشمس نبع حلم ... تفجر
كيف تنسل ؟ ! والظلام المدمى شد في قبضتيه فجرا مقعر
كاد يغمى عليه ! ! ، لولا بقايا من جنون الخطى الجريئات تزار
خلفت للرياح نافذة الصحو ، وراحت تجر نعشا معفر !
فض أشباحه الحزانى سرابا من هشيم السديم في كل معبر
شدت الشمس ظلها فوق كفيه ، فما عاف عقمه ، او تضجر
سل طيفا مشوها من خيوط الشك ، والتف بالثرى وتدثر
واستفاق اللهاث ، ظمآن كالاثم تعرى في معبد يتحسر
والخطايا على الهجيرة تشوى كلما اهتاج سرها ، وتكبر !
تغسل الشمس دربها ، وترش الافق غرسا من الشظايا مسعر
فتمطى صدى السكون المسمر وتفرى على السراب المعطر !
مر في حلمه شرود الليالي وذهول الخيال من فجر عبقر
وتراءت له الطيوف الصديئات شتيتا من الضياع المقدر
حملتها القوافل الشهب في الغيهب سرا الى الضحى السمح بيدر
من جنون ، وشهوة ، وارتعاش ، وشحوب من السرى الجهم منكر
وتبدى على الصحارى رفات الابد البكر ... راهبا يتعثر !
شفه القيد ، فانتحى ياكل الحرمان من جوعه المميت المعصر
شربته العصور من كاسها الحمراء حتى تقيا النتن ... عنبر
وسرى في جداول الجدب كوثر وانتشى في مضاجع الزهر .. خنجر
وغفت فوق مذبح الريح رؤيا الموت ، لفت من الدجى العف مئزر
ثم مدت على الصموت وشاح الوهم ، يلتز باللهيب المسمر
وهوى الافق راكعا ، وحنايا الشمس غرقى مع السكون المقعر
عبر اكواخه التربيات غابات جراح يشدها الف مزهر
تحصب الشوك في الضحى ، ويموت السرو ليلا ، ويستجير الصنوبر
عزفت للرياح اسطورة النار ، وجفت لهاتها مثل مرمر !
وترامت عناكب الوهم تمتص أساها كأنه بعض سكر ! ...

بغداد — علي الحلي

واردف قائلا وانا لا اكاد اسمعه :

— ولعل السهر الطويل في الدراسة والجد قد ارهق صحتك واتعب جسمك ، ولا بد من هذه الراحة .. فتوكل على الله واستعن به . فالامر في غاية البساطة ولكن عليك ان تعتني بنفسك .

*

وها انذا قد فرغت باختصار من حكايتي ، وانا في طريقي الان الى المصح ، ولا ادري هل ستكون هذه الكلمات هي وداعي للحياة ، أم انني سوف اقبل عليها من جديد بروح جديدة وقلب جديد وضمير نقي .. واعتبر ان ما قاسيت هو انتقام الحياة مني ومما اقترفت من خطايا وذنوب ؟

حمص — عدنان الداعوق

اصل القبلة

بقلم الدكتور بيدنل — ترجمة مبارك ابراهيم

* * *

كان الشعراء القدماء من الاغريق يسمون القبلة « مفتاح الجنة » . ولما كانت القبلة لا تستقبح الا يوم يذبل غصن الشباب الرطيب فقد كانت دائما موضع ابحاث لا تنقضي ..

ومما يحكى ان شاعرا فكها طروبا قال في احدى قصائده: ان القبلة يجب ان تحس احساسا .. وانه لاولى بالناس واليق ان لا يخوضوا في حديثها ..

ومهما يخطىء الناس في حق القبل فان الشعراء المغنيين من عهد ابيهم الاول « هومير » حتى يومنا هذا يدعونها باحسن اسمائها ويثنون عليها اطيب الثناء واعمقه ويتغنون فيها بارق الشعر واعذبه .

ونحن هنا نحاول ان ندرس القبلة في مختلف اشكالها ومشتقاتها كما نحاول ان نتقصاها من خلال اتاويه الزمن .

ولا بد لنا ونحن نجوب تلك الاتاويه من اللجوء الى الفروض آملين ان تبلغنا تلك الفروض حرما آمنا تستقر في كنفه النتائج المستخلصة . ونحن قائلون ان هناك صنوفا من القبلات واشكالا فهناك قبلة الهوى الجارف التي طبعها « فاوست » — وهو يذوب جوى وحبا — على شفتي (مارغريت) . وهناك قبلة الغدر التي خان بها يهوذا الاسخريوطي سيده . وهناك القبلة المدوية التي نزل بها « جوهانسن الغوطي » على خد فتاته . وهناك القبلة التي لا يسمع لها صوت وهي التي يسمونها قبلة الفراشة وهي تلك القبلة التي مسحت بها « ارتميس » على شفتي الفتى الراعي الجميل « انديميون » وهو نعسان (تقول الاساطير الاغريقية ان ارتميس او «ديانا» قد جعلت فتاها انديميون بقوة سحرها دائم النعاس . وذلك لكي يتاح لها ان تجيئه وتقبله كلما شاءت وشاء لها الهوى) .

والرومان القدماء كانوا يعرفون ثلاثة الوان من القبل وهي : OSCULA وهي قبلة الصديق للصديق ومكانها فوق الخد و BASIA وهي قبلة الحب ومكانها فوق الفم و SUAVIA وهي قبلة الهوى الجارف ومكانها بين الشفتين . وانه ليقال — عندما يراد التحدث عن القبل بصفة عامة ان القبلة فوق الجبين علامة التوقير . والقبلة فوق الخد علامة الصداقة والود . والقبلة فوق اليد علامة الولاء والقبلة فوق القدمين علامة الخشوع والخضوع . اما القبلة فوق الفم فعلامة الحب المكين .

والقوم في فرنسا اليوم يرون في القبلة التي تطبع على الفم — الا بين حبيبين — جريمة اجتماعية يستعدى عليها القانون ويسأل من مثلها العافية .

وفي فنلندا حيث الاستحمام بين المراة من الجنسين لا تحده الحدود ولا تصده القيود تعتبر القبلة في الفم أمرا يجافي الوقار .

وعند الاوروبيين وكذلك عند الاقوام المتكلمين بالانجليزية تعد امرا محدثا نسبيا . وآية ذلك ان الباحث في مفردات اللغات السلتية لن يجد كلمة تعبر عن القبلة.

والمفروض ان قبلة الفم قد خضعت لقانون التطور فبدات بوضع الوجه على الوجه وهو لون التقبيل عند الشعوب البدائية .

اما حك الانف بالانف وهو لون التقبيل عند سكان الملايو وسكان جزائر بحر الجنوب فهو مرحلة متقدمة من مراحل التصاق الوجه بالوجه وهو ما يشاهد كثيرا عند صغار المحبين من اقوام الاسكيمو اذ هم يحكون انوفهم في رقة وحنان بالغين .

واقدم موطن من مواطن التقبيل بالانف هو الهند القديمة (سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد) ثم تبعه بعد زمن مديد التقبيل بالفم ثم انتقلت القبلة — كما يبدو — من الهند الى الصين شرقا ثم غربا الى بلاد فارس واشور وسوريا واليونان وايطاليا ثم أوروبا بوجه عام .

ولبعض الاسباب الغامضة يبدو ان القبلة لم يستقر بها النوى في مصر .

ويحدثنا المؤرخ هيرودوتس فيقول ان الفارسيين ممن تتكافأ مقاماتهم كان يقبل الواحد منهم حبيبه في فمه . اما من قامت بينهم الفوارق فالخد هو مكان التقبيل عندهم .

وفي الهند لا يقول الواحد من افراد القبائل الجبلية لحبيبه « قبلني » ، انما يقول له : « شمني » . ومن الغريب ان الصينيين وهم المتقدمون نسبيا في مراقي الحضارة لا يزالون مبقين على العادة القديمة في التقبيل وهي امرار الانف على صفحة الخد ثم اخراج نفس من الانف .

ولا مراء في ان الصينيين ينظرون الى القبلة عند الاوروبيين نظرة مستقبحة ويرجعونها الى اثر باق من آثار الاقوام آكلي لحوم البشر .

وفي الهند الصينية كثيرا ما تلجأ الامهات الصينيات الى تخويف اطفالهن بأنهم ان لم يرعووا ويرجعوا عن غيهم فسوف يقبلنهم قبلة الاقوام البيض .

وليس عند اليابانيين كلمة يعبرون بها عن التقبيل . والقبلة عندهم لا تكون الا بين أم ووليدها . ويستطيع

● هذا المقال فصل ملخص من كتاب بعنوان « أصل القبلة » للطبيب الجراح الانجليزي بيدنل .

The Origin of the Kiss, C. M. Beadnell.

الوالد عندهم ان يقبل اطفاله الى ان يعرفوا كيف يمشون.

وفي بلاد فلسطين الحديثة لم تتغير مظاهر القبلة الا قليلا منذ ذلك اليوم الذي نزل « عيسو » على عنق يعقوب وقبله (ورد في انجيل لوقا في الاصحاح الخامس عشر قوله : فقام وجاء الى ابيه . واذ كان لم يزل بعيدا رآه ابوه فتحنن وركض . ووقع على عنقه وقبله) .

ومما يروى ان احد الرحالة قال : ان الافريقيين لا يعرفون قبلة الاوروبيين ابدا . وهو يذكر انه قبل ذات مرة فتاة من اهل تلك البلاد قبلة على الطريقة الانجليزية فارتاعت الفتاة وذعرت ذعرا شديدا .

والراي عند اقوام جزيرة مدغشقر ان النفس الذي يتنفسونه من انوفهم انما هو انبعاث ينطلق منهم الى نفوس الاخرين . وهو امتزاج بين روح واهب القبلة وروح آخذها .

ولقد تغلغلت القبلة في الحياة الجسمانية عند الاقوام البدائيين كآية على الحب الاموي والجنسي حتى اصبحت سنة محكمة من سنن الاحتفال لدى الطبيب والكاهن . فالكاهن الذي يعمد الصبي يقبله .

وكذلك يقوم الكاهن بتقبيل آثار القديسين بل بتقبيل الاغطية التي تغطى بها الاشياء المقدسة . وكذلك ايضا يقوم الشماسة بتقبيل الكاهن الاكبر ومن معه من الكهنة .

وفي انجلترا كان التقبيل حتى القرن الثامن عشر يقوم على ان يكون مكانه في الخد عند المتكافئين في المركز الاجتماعي . اما افراد الطبقات الدنيا فكانوا يقبلون ايدي العظماء او اقدامهم او ارديتهم .

والانحناءة عند الشرقيين انما هي قبلة من الدرجة الثالثة وهي لون من الوان التحية من الادنى الى الاعلى وكذلك الى ذوي القوة والسلطان .

ويبدو ان الانحناءة البسيطة التي تؤديها اليوم الى سيدة من معارفنا وكذلك تقبيل الارض كعلامة للتوقير عند سكان بعض الانحاء القاصية انما هما منقولان عن الحيوانات التي تربض اذا احست بخطر داهم .

واشارة كتاب العهد القديم « الى لحس التراب » تذكرنا بعادة تقبيل الاقدام او تقبيل الارض في حضرة ذوي السلطان . (انظر المزامير ٧٢-٩ حيث جاء « امامه تجثو اهل البرية واعداؤه يلحسون التراب ») .

والكلمة العبرانية (همتاوا) وهي التي تؤدي كذلك العبادة تؤدي كذلك معنى الانبطاح . والعرب يحيون ذوي السلطان عندهم بتقبيل الارض بين ايديهم . اما الفرس فيلقون بانفسهم على الارض .

والبوذيون الذين يحجون سيرا على الاقدام الى لاسا ، ينبطحون ثلاثين الف مرة في الاميال الستة الاخيرة من الطريق المؤدي اليها .

اما التحية بهز اليد فيبدو انها اشتقاق حديث من طريقة تقبيل الوجه كما يبدو ان تقبيل اليد هو حلقة متصلة من تلك السلسلة ، سلسلة تقبيل اجزاء الوجه .

والفرسان القدماء كانوا يتبادلون القبل . اما المحدثون من لاعبي التنس ومن الملاكمين فتحيتهم هز الايدي قبل المباريات وبعد انقضائها .

والتحية بين الاكفاء في البلاد المراكشية تقوم على ان يمسك الواحد يد الاخر ثم يقبل كلاهما يده هو لا يد صاحبه .

اما رعايا الاباطرة الرومان فكانوا يعبرون عن ولائهم للامبراطور بأن يلمسوا ثوبه بأيديهم ثم يقبلون تلك الايدي .

وتحية التوقير عند التركي هي انه بعد تقبيل يده هو يرفعها الى جبهته .

ويصف «سير ريتشارد برتون» (المستشرق والمتكشف الانجليزي المتوفي عام ١٨٩٠) المسلمين وهم يحيون الكعبة والحجر الاسود فيقول : انهم يقبلونهما وذلك بلصق ايديهم وجباههم وخدودهم وبطونهم وصدورهم بهما .

ولهم طريقة اخرى في تقبيلهما وهي ان يلمسوهما باليد اليمنى ثم يقبلون اصابع تلك اليد .

وكان العرب قبل الاسلام بزمن مديد يقبلون ايديهم تحية لآلهة الرياح ، وكذلك كان قدماء الاغريق يفعلون في تحيتهم للشمس والقمر .

اما الاتقياء من الرومان فكانوا يرفعون ايديهم اليمنى الى افواههم ثم يقبلون تلك الايدي ويلوحون بها الى الآلهة .

ومن ثم يرى الباحثون اننا في عصرنا الحاضر ونحن نلوح بأيدينا عند توديعنا لاحبابنا وقد ازمعوا سفرا بعيدا انما نكرر ما كان يفعله الاتقياء الوثنيون وهم يحيون اوثانهم التي كانوا يعبدون ! واليوم يحذو حذوهم رجال الاديان وهم يرفعون ايديهم اثناء حفلات منح البركات وما يشبه تلك الحفلات .

ويندرج تحت باب محاكاة تلك العادة ما درج عليه نظار المدارس وآباء التلاميذ من هز اصابعهم السبابة علامة الانذار والتحذير للعصاة من تلاميذهم . وكذلك من المحتمل كل الاحتمال ان يندرج تحت ذلك الباب رفع اليد عند رؤساء اللجان ورؤساء مجالس الادارات لكي يلزموا الاعضاء بالسكون وكذلك عند رجال الشرطة والمشرفين على فرق الكشافة ليوقفوا حركة السير او حركة المرور .

واني لاذكر اني كنت صاعدا ذات يوم في نهر من انهار افريقيا وكان البرد قارسا فرايت جماعة من القردة الكبار وقد اقبعت وولت وجوهها شطر الشمس وقد رفعت ايديها الى رؤوسها وكأنها تريد ان تحيي اول قبس من حرارة الشمس وتشكر للشمس المتفضلة على ما اولتهم

من صنع حسن جميل بعد أن قاسوا من ظلمة الليل وبرده ما قاسوا .

وبعد فقد ظل الفم وظلت اليد قرونا وقرونا وهما يشتركان في علامة القسم . والمعروف ان السر واللباب في كل قسم يحلف به انما هو كائن في تلك القوة السحرية التي تنطوي عليها الكلمات الملفوظة التي توحي بنزول اللعنة على الحانثين والكاذبين .

وعند كثير من أصحاب الديانات العليا تلمس الكتب التي يقدسها أصحاب تلك الديانات وتقبل اثناء تأدية القسم .

وفي العصور الوسطى كان مؤدوا القسم يضعون ايديهم فوق كتابهم المقدس . ثم تتابعت بعد ذلك عصور كان الكتاب يرفع الى الشفتين ويقبل . وجميع تلك الطقوس والافعال لا بد انها بدات بالطقوس القديمة طقوس لمس المعبودات وتقبيلها .

وعند الاقوام الساميين الاولين كانت قبلة التحية عادة سائدة ولكنها لم تكن قبلة في الفم .

والتقبيل بين الجنسين كان لا يلقى الترحيب عند الاحبار من اليهود القدماء . وكذلك كانت تلك العادة لا يقرها المسيحيون الاولون اذ كانوا يعدونها عادة من عادات الهمج والرعاع . ومع ذلك فقد جاء القديس بولس فدفع بهذه العادة الوثنية ، عادة التقبيل وأوصى رعيته بأن يحيي الواحد أخاه بتقبيله قبلة مقدسة . واخيرا استحالت تلك العادة الى عادة مستقبحة وبخاصة في تلك الولائم التي كانت تدعى بولائم الحب وهي الولائم التي كان يولمها المسيحيون الاوائل ويجمعون فيها الصدقات للفقراء والمساكين فاضطرت الكنيسة ان تتدخل فتصدر قانونا يجيز للرجال ان يقبلوا الرجال ليس غير وللنساء ان يقبلن النساء ليس غير .

ويمكن للباحث اليوم ان يستدل على علاقة القبلة بالحياة الدينية القديمة بالعادة الواسعة الانتشار في عالمنا هذا وهي عادة لثم التماثيل وتقبيل آثار القديسين وبخاصة عند اولئك الذين حلت بساحتهم الامراض وهم يسألون البرء ويرجون الشفاء .

ومن الآثار الباقية للقبلة في غالبية البيوت اليوم تلك العادة التي تقوم على تقبيل الام لموضع الالم في جسم طفلها وذلك طلبا للبرء وتعجيلا للشفاء . ومما يبعث العجب ابلغ العجب ذلك الاعتقاد الذي يوحي بأن قبلة الله تستتبع – في نظر اليهود – انقضاء الاجل فهم يظنون ان الرجل التقي الورع يموت في اثر قبلة من فم الاله . وهم يقولون لمن يحاجهم في ذلك : ألم يلق موسى وهارون ويعقوب وغيرهم من أبطال الاسفار المقدسة حتفهم على اثر قبلة رحلوا بعدها الى عالم افضل ؟ .

هذا واننا لنكتفي بما اسلفنا من الحديث عن القبلة والتقبيل ونتحدث عن اللمس فنذكر كلمة تنسب الى فيلسوف بل الى واحد من اساتذة الفلسفة هو «الكسندر بين» المتوفي عام ١٩٠٣ وهي قوله : ان اللمس هو الف الحب وان الاحتضان الذي يكون بين ذكر وانثى هو « ياء » الحب وغايته . وكذلك نذكر كلمة تنسب الى العالم النفساني الالماني « هي دنهين » المتوفي عام ١٨٩٧ وهي قوله : ان لمسة رفيقة تزيد من يقظة العقل .

القاهرة — مبارك ابراهيم

يا قلب

جوزيت يا قلب حق الحب حرمانا … فما سخطت ولا آثرت كفرانا
كبحت جامح يأس انت ملبسه … برد التصبر ثبت الحس ظمآنا
فلا يضيرك سهم الغدر منصلتا … ولا يسؤوك ان ترتد اسوانا
ما بت تندب ما املت من متع … الا لتجرع كأس البين غصانا
حباتك .. الطهر رياها وصبغتها … ارخصتها في سبيل الحب مذعانا
غرست في أخصب الاحلام بذرتها … وسقت دمعك ري الفرس هتانا
ما انبتت غير غصات مرارتها … ان ارهقتك فما املتك سلوانا
حتام يبعثك التحنان مصطفقا … بين الضلوع فلا تستطيع نسيانا؟
حسب الهوى منك آمال خفقت بها … دهرا وضاعت فما ازمعت طغيانا!!

القاهرة — سلامه خاطر



عبد الغني العطري

كيف ولماذا نضحك ؟

بقلم عبد الغني العطري
صاحب مجلة « الدنيا » الدمشقية

* * *

الضحك تعبير عما يخالج النفس من سرور وحبور ، كما ان الدموع دليل على ما يضطرب فيها من حسرة والم . اراد الكاتب الفرنسي ، فرانسوا رابليه ، منذ مئات السنين ان يعرف الانسان فقال انه حيوان ضاحك . وهذه صفة ما اجمل ان يعرف بها الانسان ، كما يعرف بالنطق ، فيقال ان الانسان حيوان ناطق .

ولقد أدرك علماء النفس اليوم ما للضحك من اثر في حياة الانسان ، وتحويل تشاؤمه الى تفاؤل ، ويأسه الى امل ، وكآبته الى سرور ، فاوصوا بالضحك ودعوا اليه ، حتى ان واحدا منهم رأى ان خير علاج يجعل الانسان يستقبل الحياة بنفس فرحة طروب ان يضحك كل يوم عشر دقائق ضحكا عميقا يخرج من اعماق القلب . واذا لم يجد ما يضحك فليصطنع الضحك ، وليذكر حوادث تدعو للضحك . واذا خانته الذاكرة فليقرأ صفحة الفكاهة في بعض المجلات وليضحك ، فمن يضحك تضحك له الدنيا !

ولكن ما هو الضحك ؟ وكيف تتم عملية الضحك ؟ وما هي اسباب الضحك ودواعيه ؟.

يقول الفيلسوف الفرنسي هنري برغسون في كتابه عن « الضحك » ان الضحك ينتج عن مشاهدتنا الاوتوماتية في الحياة ، اي اننا في كل مرة ننتظر ان نرى حركة موافقة لما تقتضيه الحياة الحرة ، فنجد بدلا منها حركة لا تنبيء عن الحرية ، وليس لها مساس بذاتية الشخص وانسانيته (باعتباره انسانا حرا) ، بل على العكس تكون كأنها صادرة عن آلة جامدة ، فاقدة الوعي ، وقدرة التكيف والتلاؤم مع الظروف ، في كل مرة نرى ذلك نضحك مرغمين .

هذه هي خلاصة رأي برغسون في كيفية حدوث الضحك ، ولنضرب الان مثلا يؤيد ما ذهب اليه برغسون ، ويوضح نظريته هذه :

لنفرض أن رجلا آليا يسير كالآلة ، دون ان يتكيف بما توجبه ظروف المسير ، يصطدم بجدار ، او يسقط في حفرة ، دون ان يتحاشى الاصطدام ، او يتجنب السقوط ، وسبب ذلك بالطبع انه انسان آلي ، لا يملك القدرة على التكيف مع الظروف . وفي كل مرة نرى مثل هذا الحادث نضحك مرغمين ، وان كان في المشهد ما يدعو لبعض الاسف!

وهاكم مثالا أخر يؤيد ما ذهب اليه برغسون :

في احد افلام الممثلين الهزليين لوريل وهاردي ، يشتغل اولهما سائق سيارة . وقد اعتاد لوريل ان يسعف سيارته بالبنزين كلما « مرضت » ، فيأتي « بقمع » كبير يضعه في محركها ثم يصب لها الدواء !! ومرض ذات يوم صديقه هاردي ، ولم يستطع مزاولة عمله . فلما عاده الطبيب ، ووصف له شرابا ، جاء لوريل بالشراب ، واضجع صديقه المريض على المنضدة ، واخذ يصب الدواء لهاردي في فمه بقمع السيارة ، الذي اعتاد ان يصب فيه البنزين !..

هذا مشهد مضحك حقا ، يثبت لنا ما ذهب اليه برغسون . فسائق السيارة الذي اعتاد ان يصب البنزين في سيارته بالقمع الكبير ، لم يستطع « التكيف » حسب الظروف التي تقتضيها الحال ، ولم يدرك — او لم يشأ ان يدرك — ان العلاج يعطى للمريض بالملعقة ، لا بقمع السيارة الكبير !..

وللضحك اسباب وعوامل كثيرة — عدا ما ذكرت — منها الشعور بالتفوق . فنحن نضحك في كل مرة نرى فيها رجلا يترنح سكرا في الطريق ، ويتفوه بالفاظ لا منطق فيها ولا نظام . وكلما زلت به القدم فسقط او ترنح ذات اليمين وذات الشمال ، شعرنا باننا متفوقون ، واننا جديرون بالضحك منه . ولكن هذا النوع من الضحك كثيرا ما يشوبه العطف والشفقة .

ونحن نضحك ايضا حين نرى ان رجلا اطارت الريح قبعته عن راسه ، في الشارع العام ، فاخذ يعدو وراءها ، وهي تتدحرج امامه مسرعة ، دون ان يستطيع ادراكها . ولكن ضحكنا هذا لا يمازجه العطف والشفقة ، بل يشوبه السرور والسخرية ، لانه لم يحسن وضع قبعته والريح عاتية ، ولم يدركها قبل ان تقذف بها العاصفة عن راسه .

ونضحك ايضا من الطفل الذي يريد الكلام فيخونه أسنانه ، ويبغي المسير فتزل به قدمه ، ولكنه ضحك ملؤه الحب والعطف والاشفاق .

ونضحك من الابله والجاهل ، حين يرتكب احدهما خطيئة ، او ينطق بما لا ينطبق على الواقع والحقيقة ، او يعجز عن قراءة او كتابة .

نضحك في هذه الحالات الكثيرة وغيرها . ونغرق في الضحك ، لاننا نشعر بالتفوق ، وندرك اننا خير من اولئك الذين يترنحون من السكر ، او يخونهم النطق ، او يفوهون بما ينم على جهلهم، والى ما هنالك من خطيئات تمر على مشهد منا فتثير فينا الضحك ، وتشعرنا بالتفوق على من يثيرون فينا هذه العاطفة .

ومن دواعي الضحك ايضا ، تركيب القضايا المنطقية تركيبا اعوج . فنحن نضحك مثلا من ذلك الطفل الذي يرى اباه امام المرآة منهمكا في حلق لحيته ، فيصر على ان يتناول السلاح من ابيه ، ويضع الصابون على وجهه ، ويحلق لحيته ، كما يصنع ابوه سواء بسواء ، دون ان ينظر الى الفارق بينه وبين ابيه ، ودون أن يدرك النقص الذي يحول دون تحقيق رغبته .

واكثر ما يتجلى وضع الامور في غير موضعها ، او تركيب القضايا المنطقية تركيبا فيه نقص واختلال في افلام السينما الهزلية ، فالممثلون الهزليون يتعمدون دائما الوقوع في خطيئات فادحة لاضحاك الجمهور واثارة اعجابه ، فلوريل وهاردي مثلا قد أدخلا السجن في احدى رواياتهما ، ثم استطاعا الافلات منه . ونعما بالسكر والنزهة وهما طليقان . فلما طاردهما الحراس في الطريق ، هربا الى باب السجن يلتمسان الخلاص هناك !.. فقياس منطقي ولا شك ، ولكن النقص ظاهر فيه للمتفرجين ، وان لم يظهر للممثلين ، على حسب الدور الذي كانا يمثلانه .

هذان هما السببان الرئيسيان للضحك ، وكل حادث او مشهد يدعو للضحك ،لا بد ان ينطبق على احدى حالتين:

اولا — تصرف آلي من الانسان ، يظهر فيه عدم قدرته او رغبته بالتكيف ، حسب الظروف والموجبات .

ثانيا — وضع الامور في غير موضعها ، او قياسها بمقياس فيه عوج واختلال .

ومن الجدير بالملاحظة ان الضحك كثير الشبه بالتثاؤب، وكلنا يذكر قول الشاعر العربي :

تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد بعدوى فما اعدتني الثؤباء

من هنا ندرك وجه الشبه بين الضحك والتثاؤب، ونعني بذلك انتقال الضحك بالعدوى . وكثيرا ما يضم واحدنا مجلس يتضاحك فيه القوم ويتنادرون، ويضج فيه الناس. وكثيرا ما تمر نادرة تدعو للضحك، وتفوت احد الجالسين، ولكنه بالرغم من ذلك يضحك ملء شدقيه ، ويقهقه عاليا، لان المكان يضج حوله بالضحك والضاحكين ، ولان عدوى الضحك قد سرت اليه مسرعة ، فملأت قلبه وكيانه ، واشاعت الغبطة والحبور في نفسه .

والانسان من عادته الا يضحك الا مجتمعا . ويقال ان الانسان لو نشأ منفردا لما عرف الضحك . وهذا حق لا غبار عليه . واذا ما تناول واحدنا كتابا او مجلة على انفراد، وقرا نادرة او حادثا يدعو للضحك، فانه يتبسم، ولا يضحك مهما بلغت النكتة او الحادثة حد الطرافة ، الا في حالات نادرة . ويؤكد بعض الاطباء ان مرضى العقول لا يضحكون وهم في عزلتهم الا حين يتخيلون انهم مع أناس اخرين ، فيطيب لهم عندذاك الضحك والسرور .

ذلكم هو الضحك، وتلك هي موجباته ودواعيه، اوجزتها في هذا البحث . واذا كان لي ما اوصي به القارىء ، قبل ان اختم هذا الحديث ، فهو أن يضحك ، وان يغرق في الضحك ، وان يكثر منه ما استطاع ، فالضحك يقتل التشاؤم واليأس ، ويقضي على الهموم ، ويجعلنا ننظر الى الحياة بمنظار فيه التفاؤل والامل والشباب . ومتى نظرنا الى الحياة نظرة تفاؤل وامل ، هانت المصاعب ، وتبددت الآلام ، ورأينا الدنيا بأسرها غادة حسناء ، ترقص لنا وتمرح ، وتحاول ان تسقينا كأس السعادة حتى الثمالة .

دمشق — عبد الغني العطري

اهفو اليك

أهفو اليك والليل ساج
والكون غارق في سباته الهادىء العميق
احن اليك والشوق مستعر
ياكل قلبي كما تاكل النار الهشيم
ارنو اليك والنجم شاحب
اثار غيرته فرط ولعي بك
ابتهل اليك ، وفؤادي واجف
ان تحل حبي في شغاف قلبك
يا ليتني لم اعرف الهوى
ولم احلم بدوام الوصال
يا ليتني لم انعم بقربك
ولم تجتل عيني محياك
ولم تلتق نظراتنا عبر لجة الوجوه
ويا ليت يدي لم تستقر بين يديك
ويا ليت صوتك الساحر لم يسبر اغوار
قلبي ولم يلمس اوتاره في تحنان
جمعنا القدر ، ثم عاد يفرقنا
ولم يبق لي سوى الذكريات

وشنطن — صفية ابو شادي

ذكرى لا تغيب

بقلم الدكتور علي شلق

من الذكريات ما يلازم الذهن ، حتى كانه كياني لا ينفصل عن شخص الانسان . نحن ذكريات ، تمتد من اعمق موجات الماضي الى الحاضر — هذا الخط الوهمي — لتكون المستقبل . عالم الحس المباشر يتألف من المدركات التي تقع امام بصرنا ولمسنا وسمعنا . عالم الذكريات يستفيق اذا اعددنا له جوا خاصا من التأمل ، من تجميع الذات .

ينساق نسمة نسمة انسياق خلجات الموسيقى ، في السمفونية البديعة ، فيتم بالذكريات خلاص من الواقع ، كما يتم بالموسيقى الخلاص عينه .

لا صعوبة في ان نعيش ، لكن الصعوبة في ان نتجاوز العيش الى افق اعلى منه . هذا الافق يكون بتخطي الحاضر الى المستقبل ، وبتخطي الحاضر الى الماضي ، وفي كليهما استعلاء على الزمان .

الزمان ، هذا النهر الهادر ، يريدنا على ان نزحف معه . ولكننا بالعقل ، بالاحلام ، بالتأمل نتخطاه ، مثلما ينتصر عليه واحد من رجال الفن المبدعين ، فيفوت عليه سرعة الجري ، ويمسكه ليجسده في منحوتة او لوحة او منغومة او منظومة .

انا الان مع القارىء الكريم في لقاء انيس مستعل على الزمان ، دافىء لا ترجرجه رطوبة المكان في دهاليزه المعتمة . انا وانت ، نتذكر فكلانا خارج الاطار .

كنا قبل سنين نعيش ، ونحس بالطراوة والدفء ، على بساط من تلقي الحياة كما تعطي لنا ، غير متخلين عن طموحنا ، واحلامنا ، وزرع مشاكلنا .

ولكننا كنا نشاهد دروب الحياة تنفتح امامنا ببساطة ، ببساطة فيها انس وثقة ووصول . الى ان قفزت بنا المدنية فجاة الى افق جديد دون انذار ، دون مظهر ، فسلقنا الاكتفاء من المدنية الحاضرة ، لاننا لم نستعد لها ، بل نعيش بقلوب غير قلوبنا وامعاء غير امعائنا . انها وجبة سلقت سلقا وفرض علينا ان نتناولها والا متنا جوعا .

كما اننا لم نعد نستطيع ان نحافظ على بساطتنا التي فيها دفء وطراوة وثقة فقدناها ، وفقدنا معها امكانية التوفيق بين انسانيتنا وبين مستلزمات العصر .

ايها القارىء الحبيب ، لا يداخلنك الشك في ذوقي وسني ، فانا لا ازال شابا وقد خبرت صنوف الحياة في القارات الثلاث اوروبا وافريقيا وآسيا ، ومع ذلك فان ذكرى معيشة الماضي حية في نفسي لا تغيب افضلها الف مرة على طراز المعيشة الحاضرة فلاتسخر مني للمقارنة الاتية :

اولا : السينما والكراكوز : تعرض لي السينما اليوم قطعة من الحياة هي في حد ذاتها مؤلفة تأليفا مصنوعة صنعة ، وعندما اواجهها تخدعني وتسرق مني وقتا ثمينا لا استفيد منه شيئا ولا استطيع ان استعيده . واذا خرجت السينما عن مطالب المراهقين ، والمستفحلين الذين يمثلون المغالبة الزائفة والانتصار الوحشي فهي بلا شك مخفقة في توفير الملايين لجيوب المخرجين والممثلين والشركات

اما كراكوز واخوه عيواظ ، فقد كانت كلفتهما قليلة ، وادوارهما ضئيلة ، وفحواهما خيالا بخيال لانه لم يكن قادرا على خداعنا ، ولكنه كان قادرا على شيء واحد لا تستطيع السينما ان تعطينا اياه . انه كان يمنحنا الظلال ويبعث في نفوسنا التصور ، فننساح في عالم اخر ونجد فيه لذة حلوة هادئة بريئة . كان يعطينا السراب ولا يدعي انه الماء . فهل تفعل السينما ذلك ؟

كلا انها تستعبدنا ، بينما الكركوز يتركنا احرارا .

ثانيا : الاعياد القروية : لن اتحدث عن العيد في كل قرية ولا عن اعياد المدينة ولكنني ساتحدث عن تلك الاعياد الجماعية التي تقوم بها كل مقاطعة في لبنان ، وتطبعها بطابعها الخاص المميز شأنها في ذلك شأن الاعياد الريفية في فرنسا .

كانت منطقتنا تستعد استعدادا هائلا لثلاثة اعياد : عيد مار ماما ، وعيد التجلي ، وعيد مار سمعان . فعيد مار ماما : كان يجمع قرى كفريا وبدنايل وطلياتا ، واجدعبرين وكفتوخا ويتعبوره في كفرحاتا ، استغفر الله بل حول دير مار ماما بين كفرحاتا وبدنايل .

يقوم ذلك الدير المهجور ، الذي لا يأنس الا مرة في العام ، على رابية تطل على النجوم ، وطرف من البحر ، تحيط بها الوديان المترادفة والجبال المزدهية باحراش السنديان ، وعلى شماليها ينبسط حقل مستطيل لتلعب فيه خيول ابناء المنطقة ، ويتراشق فرسانها الجريد ، ويتباهون امام صبايا القرى اللواتي كثيرا ما كن يحمسن فلانا ويزغردن لفلان

امسية السبت كانت موصولة بصبحية الاحد ، ينتشر القادمون بين الاشجار على الصخور يشربون العرق يأكلون اللحم النيء الذي شهر بأكله ابناء المنطقة ثم يسمرون ، يرقصون ، ويدبكون ، وبعد ان تكل اقدامهم وايديهم يعتلون سطح الدير للاشتراك في حلقة القرادي ، حيث يغيبون في اطيب السوانح التي تحملهم الى جو ينتظرونه عاما كاملا ، يرددون خلاله الميجنا ، والعتابا ، والمعنى ، والبو الزلف التي سمعوها وحفظوها من عيد مار ماما .

واليوم ، ما الذي بقي منها ؟

كثرت المقابر حولها . اكلت السينما دروبها ، وشجرها ، واماسيها الشعرية ، وزرعت الديمقراطية مكان تلك الهنيهات الحلوة خصومات الحزبية العقائدية ، والحزبية المحلية ، وغابت الشراويل وراء البناطيل والقبات المنشاة والصفد البراقة ، التي ما عادت تستطيب الجلوس على صخور مار ماما .

هلجا

« هي احدى بنات النمسا .. رآها الشاعر في فينا ، في دكانها الصغير الانيق .. فيها رقة الفراشة ووداعة الحمامة .. »

كما يطوف الحلم بالمقله
تطوف بالحانوت كالنحله
قد شمرت نصفي ذراعيها
وكحلت بالبشر عينيها
كانها في المعطف الناصع
وفي الجبين المشرق الساطع
حمامة بيضاء جذلانه
او شمعة بالنور سكرانه

كم مزقت من اكبد حيه
انامل ملساء .. ورديه
بالصبغة الحمراء مطليه
بل من دم العشاق مرويه

حورية .. تعمل قصابه ؟ !

هل اغلق الفردوس ابوابه ؟ !
لو لم تك الاوضاع مختله
لالبست من عطرها حله
وباعت الازهار في سله
والقت السكين لو تنصف
وكان يكفي لحظها المرهف ! !

وصوبت لي نظرة تسبي
انساب مرماها الى قلبي
وجلجلت تطرب اذنيه
رنات اجراس سماويه
وقهقهت . . .
. . . «أني نباتيه !»

القاهرة عفيفي محمود

اصبح رفاق الامس سمار الليالي ، يفضلون ركوب السيارات ، والتزحلق الى المدينة وضجتها وثقلها ، بدلا من مسامرة النجوم والظلال ، والصور .

اما عيد التجلي وعيد مار سمعان ، فلا تجهل فيع ولا شطا امرهما ، ولكنهما غابا وراء استار .

ثالثا : البيادر : اما صينية النقل ، طراحة السمر ، حيث كان القمر يهبط في الامسيات ليستلقي على الطرحة ، ويشارك السامرين بالدعابات وشرب العبير المنبعث من القش ، والضوء ، والليل ، والالفة بكؤوس الصفاء ، في تلك البيادر .

غربي منزلنا كان يقوم بيدرنا المشهور ، يطل على جبال اللقلوق ، ينفتح لوديان مردوفة كانها تجاعيد اوراق الورد بمجالات لانداياح الضباب ، مجامر مجامر محملة بالاطياب تنفح عرش الله .

عندما كان يحين موعد الحصاد ، كنت أحلم عند كل خفقة منجل بانني سأتشقلب على الطرحة مع لداتي الاحبة، وبعد ان نكون تمتعنا بالوقوف على النورج ، وتقليب القش بالعثرينة والمدراة ، وبعد ان تكون الاماسي تعبت من عبثنا ولهونا بين اليحبون والقصرينة ، والتنصيب والدركبة فوق القش المطروح دائرة تفوح منها عطور الارض فنلتهم ذلك العبير بقلوبنا، بضمائرنا، كما يلتهم العاشق جسد من يحب.

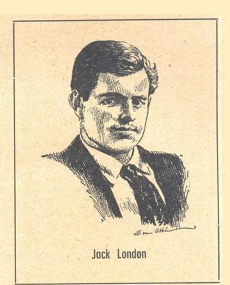
عندما كانوا ينجزون عملية التذرية لسحيق القش ، لفصل القمح عن التبن ، كنا نشارك ذوينا بالفرحة ساعة ينقلون احمال القمح الى الاهراء ، ونتصور موسم البرغل في طاحونة النهر ، ومناقيش البوامون ، ومشاطيح التنور ، وفطائر الزيت والسكر ، والفطائر بالزعتر ، اين تلك الصور التي كانت تعبيرا عن صداقة الانسان والارض اين انطفأت مجامر العبير ، الفائحة من اكداس القش على البيدر من اكداس التبن .

ذهب كل ذلك مع الريح ، وكلما رايت اولادي واولاد الجيران يلعبون على بيدرنا في كفريا ، وكلما استعرضت شجيرات الكينا والصنوبر والشربين ، تلك التي غرستها على هامش اطاره ، ليكسب منزلنا جوا لطيفا اخضر . كلما استعرضت ذلك ، وثبت الى ذهني صور بيدرنا ايام كانت طافحة حوله، وتمثلت النورج، والطرحة، والامسيات.

كانت البيادر اشياء من صميم الشخصية اللبنانية ، من معاقد الاسمار ، من لهثات اللقاء ، من موحيات الازجال والاغاني .

انطوت صفحة البيادر ، وانطوت معها صفحة من اطيب الشعر في لبنان . واليوم نحن الذين نتذكر ، نخشى ان يأتي اليوم الذي تمحي فيه ظلال الذكريات .

علي شلق



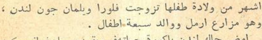
جـــاك لـنـدن

بقلم هـ . د . وبرنارد فرغين

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

كان جاك لندن الابن الطبيعي لوليم هـ . تشاني، وهو منجم ايرلندي متجول، وفلورا ويلمان ابنة مخترع مثر من اوهيو . وعلى الرغم من عمل تشاني غير المألوف ، فقد كان رجلا لوذعيا ، امضى وقته في الكتابة بالمجلات وتحريرها والقاء المحاضرات وكشف الطالع ، عادا التنجيم علما تام الادوات، لا بد له ان يسهم فى تقدم الانسان وسعادته . وكانت فلورا ويلمان امراة ذكية مثقفة ذات شخصية غير مستقرة . وفى سنتها الخامسة والعشرين فرت من بيتها ، وبعد ذلك بثلاث سنين التقت بتشاني ، فعاشت معه فى سان فرانسسكو من حزيران ١٨٧٤ الى حزيران ١٨٧٥ مدبرة بيته ومساعدة اياه فى عمله وفى اقامة المحاضر الروحانية . غير ان الاثنين لم يكونا متلائمين طبيعة مع بعضهما . ترك تشاني فلورا ويلمان فى حزيران ١٨٧٥ لما سمع بانها حامل ، ناكرا أبوته طيلة ما تبقى من حياته . ومع ذلك فمما لا شك فيه مطلقا انه كان ابا الولد الذي ولد فى شباط ١٨٧٦ فى سان فرانسسكو والذي عرف واشتهر باسم جاك لندن . وبعد مرور ثمانية


اشهر من ولادة طفلها تزوجت فلورا ويلمان جون لندن ، وهو مزارع ارمل ووالد سبعة اطفال .

امضى جاك لندن باكورة حياته فى وبقرب سان فرانسسكو، فى بيرنال هايتنز واوكلاند والاميدا وسان ماتيو ولفر مير ومرة اخرى فى اوكلاند ، وترعرع فى محيط اقتصادي غير مأمون ، ومع ان اشغال ابيه بالتبني قد عرفت التحسن فى فترات قصيرة ، الا ان حظ العائلة اخذ بالهبوط بسبب من عدم استقرار فلورا ومطامحها غير المعقولة ، هذا مع العلم ان جون لندن كان مزارعا ناجحا ولا سيما فى زراعة المخضرات . اضطر جون لندن ان يتنقل من مكان الى مكان ويستبدل عملا بعمل آخر ، حتى اجبر اخيرا لان يصبح حارسا ليليا لمرفأ من مرافىء اوكلاند .

كان جاك يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره. وفى الوقت الذي كان فيه فى المدرسة كان يبيع الصحف فى شوارع المدينة ويقوم بمختلف الاشغال التافهة لاعانة دخل اسرته الضئيل . وفى مبكر سنيه انعطف الى القراءة ــ هذا اذا علمنا بوجود مكتبة عامة فى اوكلاند . ثم اضيف حب البحر الى هذه العاطفة . وما لبث الصبي قليلا حتى اشتهر بكونه امهر ملاح للزوارق فى خليج سان فرانسسكو . وفى سنته الخامسة عشرة وجد شغلا فى معمل للتعليب ، وكان يشتغل من عشر الى ست ساعات يوميا بعشر بنسات للساعة الواحدة . وبعد اشهر قلائل من هذا الشغل المحطم الجسد والروح ، انخرط فى عصابة من القراصنة لصيد المحار . وبثلاثمائة دولار استدانها من مربيته العجوز مامي جيني السوداء اشترى زورقا صغيرا اسمه (رازل دازل). ولم تنقض مدة طويلة حتى عرف بمآثره الجريئة . وبعد ان كان قرصانا من قراصنة المحار، اصبح (انضباطا) واجبه منع صيد سمك سليمان وسمك الجمبري، المنوع صيدهما فى الخليج . واثناء هاتين السنتين من الحياة البربرية الخطرة ، اخذ يشرب المسكر بكثرة ، حتى انه ذات مرة كاد يقتل نفسه ، بسبب نوبة كحولية حادة .

وفى شباط ١٨٩٣ ابحر فى السفينة سوفي سذرلاند الى اليابان باعتباره ملاحا قوي البنية ، لصيد عجول البحر . ولما عاد الى سان فرانسسكو بعد سبعة اشهر ، كانت امريكا واقعة فى قبضة ازمة مالية لم يسبق لها مثيل من حيث الهول . افلس العديد من البنوك ورجال الاعمال ، وكادت الاشغال تتوقف عن العمل . واصابت البطالة قسما كبيرا جدا من العمال فى كل مكان . وتبعا لذلك ندرت الاعمال ، واصبح الحصول على الشغل على مستوى لا يفضل كثيرا مستوى المجاعة . ولمدة ما اشتغل جاك لندن فى معمل للجوت ثم فى جرف الفحم لدى احدى المؤسسات الكهربائية . عندئذ ادرك ان العمل غير الماهر ، تحت الظروف السائدة لا يفرق عن العبودية بشيء ، ومن هنا فتح له طريقا . ولسنة كاملة ١٨٩٤ طاف ارجاء الولايات المتحدة وكندا ، مسافرا الوف الاميال ، فى قطارات الحمل والاكسبريس

مراوغا بوليس القطارات وسواقها ومتصادما معهم ، متحملا الجوع والبرد والعطش والحر ، وكل ضرب محتمل من المصاعب ، كالخطر والاهانة ، وحتى السجن ثلاثين يوما مع الاشغال الشاقة فى سجن ايري كاونتي .

ثم عاد الى اوكلاند سنة ١٨٩٥ وهناك دخل المدرسة العليا ، وفى السنة التالية اجتاز امتحان القبول لجامعة كاليفورنيا . وايا ما كان الامر ، فان الحاجة الملحة لاعالة والدته وزوج امه المريض ، اضطرته الى ترك دراساته الاكاديمية ، فى النصف الاول من السنة . وحوالي هذا الوقت تعرف على اعمال الاشتراكيين الفرنسيين من امثال سان سيمون وفوريه وبرودون وتعاليم ماركس . وانضم الى حزب العمل الاشتراكي باوكلاند وتردد الى اجتماعات العمال ، وتكلم فى النوادي والتجمعات المكشوفة ، وشرع يكتب المقالات عن القضايا الاجتماعية والسياسية ، وقد ظهر بعضها فى مجلة دايجيس مجلة مدرسة اوكلاندالعليا . اما تعلقه بقضية الاشتراكية فكان – منذ البدء – تعلقا عاطفيا ، ومن هنا نراه مفعما بالتناقضات الباطنية ، هذه التناقضات التي اصبحت واضحة فى اواخر حياته ، حين ادرك الشهرة وحصل على المال . وما عدا داروين وكارل ماركس ، كان سبنسر ونتشه ممن اثروا فيه وخاصة فى فلسفة حياته العملية .

وما ان اقبلت سنة ١٨٩٧ حتى انخرط فى حملة البحث عن الذهب فى كلوندايك بالاسكا ، ومن هناك عاد بعد سنة وهو يكابد من داء الاسقربوط (داء تشوه العظام ، المترجم) فارغ الوفاض لا يملك بنسا واحدا ، مع ثروة كبيرة من التجارب الشخصية وتجارب الناس الاخرين . تلك التي قدر لها بعد عقد من الزمن ، لتكون ذخيرة لكتاباته التي رفعته الى الشهرة . لقد آلى على نفسه ان يكون كاتبا ، فاخذ يعمل جادا متغلبا على عراقيل الفقر ، ومقاومة الناشرين وضآلة الثقافة والتعليم . وببطء وفى غضون شهور من الكدح والكد ، والخيبة ، وشبه المجاعة جاء النجاح . لقد تقبلت مجلة اوفن لند منتلي ومن ثم مجلات اخرى قصصه عن الاسكا ومنها : (رجل يقتفي اثرا) و (الصمت الابيض) و (رجل الاربعين ميلا) . وفى ١٨٩٩ نشرت مجلة اتلانتك منثلي قصته الطويلة (اوديسا الشمال) وفى سنة ١٩٠٠ اصدرت دار هاوتين مفلين اول مجلد عن حكايات الاسكا بعنوان (ابن الذئب) . هذه الحكايات التي جلبت له شهرة وطنية مباشرة .

ثم انتج فى السنين اللاحقة عددا هائلا من الحكايات والقصص والكتابات السياسية ، كان مجموعها يربو على اربعين مجلدا ظهرت اثناء حياته . وقد نشرتها كلها مؤسسة ماكميلان باستثناء تسع منها . و (اطفال الصقيع) ١٩٠٢، هي اول قصة قبلتها تلك المؤسسة وجعلته من اساتذة القصة الامريكية القصيرة . وبدعوة من اتحاد الصحافة الامريكية ذهب الى لندن سنة ١٩٠٢ ليدرس عن كثب شروط الحياة فى احياء العمال القذرة ، وقد ضمن تلك الدراسة فى كتابه (شعب الهاوية) الذي نشر سنة ١٩٠٣ . ثم اعقب كتابه ذلك بـ (نداء البرية) وهو الذي احله محل الصدارة بين الكتاب الامريكيين .

ثم ذهب الى اليابان سنة ١٩٠٤ ليراسل صحف هرست عن الحرب الروسية اليابانية ، الا انه عاد بعد اشهر قلائل مفعما بالحقد اللاهب على اليابانيين لانهم لم يسمحوا له بزيارة مسرح الحرب . وفى السنة نفسها نشر كتابه (ذئب البحر) الذي اثار ضجة بين عشية وضحاها . وبعد ان ظهرت القصة متسلسلة فى مجلة سنتشري بيع منها ٤٠ الف نسخة قبل خروجها من المطبعة على شكل كتاب . ومن الكتب الاخرى فى تلك الفترة (الصيد) ١٩٠٥ و(المخلب الابيض) وهو تتمة لـ (نداء البرية) ١٩٠٦ و (الكعب الحديدية) ١٩٠٧ (ترجم هذه القصة الى العربية الاستاذ منير البعلبكي فى سلسلة القصص الانساني ، المترجم) ، وهي اقوى قصصه عن الصراع الطبقي واعظمها اهمية ، وفيها تنبأ بحلول العهد الفاشي .

تزوج جاك لندن بيسي مادرن سنة ١٩٠٠ فانجب منها ابنتين ، اولاهما جون لندن التي قدر لها أن تكتب سيرة حياته . ولكنه ما لبث ان ترك زوجته الاولى ١٩٠٣ وتزوج بعد ذلك بسنتين تشارميان، كيترج. واستقر في غلين ايلين احدى قصبات ولاية كاليفورنيا، وهناك اشترى مزرعة هل رانتش وبمرور الزمن وسعها وطورها بجهد جهيد .

واثناء الست عشرة سنة التي استغرقها جاك لندن ، وهي فترة حياته الادبية ، استطاع ان يحصل على أكثر من مليون دولار ولكن مصاريفه تجاوزت ارباحه بلا اقل من ٢٥ بالمئة . وقد ندر ان كان حرا من الديون ، وفى كثير من الاوقات ، وفى اوج شهرته ، كان يضطر الى البحث عن قليل من مئات الدولارات ، ليتلافى ديونه المباشرة . لقد كان رجلا عظيم الكرم والسخاء ، ومع معرفته كيف يتساوم مع الناشرين ، فان اصراره الصبياني على تطبيق مشاريعه وخططه ، التي كان قلبه يهفو اليها ، جعله فريسة سهلة لجميع المستغلين .

وفى سنة ١٩٠٧ ابحر مع زوجته الثانية وعدد من اصدقائه فى السفينة الصغيرة (سنارك) التي كلفته ٣٠ الف دولار ، ابحر فى المحيط الهادي الى هاواي وماركساس وغيرهما من الجزر فى جنوب المحيط الهادي . وفى غضون هذه السفرة المخطرة ، استمر يكتب حتى انتج قصته (مارتن ايدن) مع استمراره باهتمامه بشؤون اعماله المعقدة فى الوطن . ثم عاد بالباخرة من سدني تموز ١٩٠٩ محطم الصحة، مرهق الديون على الرغم من الاموال الطائلة التي حصلت كتاباته عليها .

اما البقية المتبقية من حياته القصيرة فقد امضيت فى جو

من الشهرة المتنامية والغنى الوفير . انه حقق مطمحه الاول ، اذ لم يصبح اعظم كتاب اميركا نجاحا حسب بل اكثرهم مالا ايضا . ولكن هذا الانجاز لم يجلب له السعادة بل غدا طعمة للتشاؤم والمرارة اكثر فأكثر ، واخذ موقفه يستكلب تجاه كتابته نفسها ، تلك الكتابة التي كادت تصبح مجرد صناعة . ومع ذلك ، ظل ينتج العديد من المؤلفات الرائعة ومن اشهرها (النهار اللاهب) ١٩١٠ ، و (وحش الهاوية) ١٩١١ ، و (الدخان) ١٩١٣ ، و (جون باريليكورن) ١٩١٣ ، وهي قصة شبه شخصية كانت من الاسباب المهمة لمنع المسكرات في الولايات المتحدة سنة ١٩١٩ . ومنها ايضا : (وادي القمر) ١٩١٣ ، و (النجم الجوال) ١٩١٤ ، و (السيدة الصغيرة ذات البيت الكبير) ١٩١٥ و (الجزائر) ١٩١٧ ، ان السكر والانهماك الشديد في الاكل والقلق وربما عواقب الفقر والشدة في سنيه المبكرة هي التي حطمت صحته . وفي الختام اعلن داء (اليوريميا) (تسمم الدم بجوهر الادرار ، المترجم .) عن نفسه ، فهاجم الكاتب هجمات مؤلمة عنيفة ، توفي على اثرها في الثاني والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩١٦ ببيته في كاليفورنيا ، بسبب جرعة كبيرة من المورفين . وهناك كل الاسباب التي تحملنا على الاعتقاد ان موته كان اختياريا .

مقدمة لبعض آثار لندن

أكتشف الذهب في كلونديك سنة ١٨٩٦ . وبين الالوف الذين اسرعوا الى هذه المنطقة تاركين كل ما كانوا يعملون ، شاب قوي العضلات ، طري الوجه ، رقيق الصوت ، لا يتجاوز العشرين من عمره . كان هذا الشاب جاك لندن . اما ابوه الذي لم يره قط ، ولم يقدر له ان يراه فيدعى تشاني وهو امريكي من اصل ارلندي ، له ضرب خاص في تذوق الادب . اما والدته فكانت من ارومة امريكية ويلزية ، سكنت في وسكنسن . وبعد ثمانية أشهر من ولادته غير الشرعية ، تزوجت ام جاك لندن بجون لندن ، والاخير رجل من بنسلفانيا استقر في كاليفورنيا ، وقد اعتمد في معيشته المضنكة على بيع فراخ الدجاج والمخضرات واجور نزلاء بيته . امضى جاك حياته الاولى في كل عمل وجده ، وباجر لا يتجاوز الدولار يوميا ، كما امضى ساعات فراغه في مكتبة اوكلاند العامة . ولما بلغ التاسعة عشرة من عمره ، اصبح تلميذا بجهده الخاص في مدرسة اوكلاند العليا . وفي ذلك الوقت عبر المحيط الهادي ملاحا ، وجال امريكا عيارا ، وقضى في السجن ثلاثين يوما بتهمة التشرد . ثم سجن مرة اخرى سنة ١٨٩٥ لالقائه خطبا ثورية . ولما اخذ الناس يتقاطرون للبحث عن الذهب في كلونديك ، كان جاك لندن يعمل في مغسل للملابس ، ولما غادر الى الشمال كانت كتب (اصل الانواع) و (راس المال) و (الفردوس المفقود) تأخذ مكانها في حقيبته .

وبعد عشرين سنة قضى على نفسه بيده . اما السنين التي تخللت هذين العهدين ، فقد امضاها في السفر الى معظم العالم ، ونشر فيها خمسين كتابا ، وجمع مليونا من الدولارات وادمن على الخمر . كانت مصاريفه هائلة وكرمه غير محدود ، واحكامه مع التيار ، وكتاباته معروفة باحجامها وترددها ، وقد تضمن نتاجه الهائل قصصا واقاصيص وسيرا شخصية وكتب سفرات وفانتازيا . ومنها (شعب الهاوية) ١٩٠٣ التي تعالج حياة ايست ايند ــ في لندن (وهي منطقة العمال ، المترجم) و (الكعب الحديدية) ١٩٠٧ التي تتنبأ عن ثورة يمينية تحدث بعد خمس وعشرين سنة ، اي في سنة ١٩٣٢ ، ولم يكن هذا الامر حدثا سيئا (ومصداق ذلك ان النازيين تمكنوا سنة ١٩٣٣ من اغتصاب مقاليد الحكم في المانيا بعد تآمر هندنبرغ ، المترجم) . ولكن قصته (نداء البرية) المنشورة سنة ١٩٠٣ ، التي بيع منها مليون ونصف نسخة ، كانت ولا تزال اعظم اعماله الادبية . صحيح انه لم يجد ذهبا في كلونديك ، الا انه شق طريقا جديدة في الادب ، عاد اليها من حين الى حين ، بمختلف درجات النجاح .

ان (نداء البرية) هي اول حكايات هذه المجموعة واحسنها . والكلب البطل بك هو سليل الارومتين البرنارية ونصف السكوجية ، وهو في بداية قصته عضو دمث مقدر من اعضاء المجتمع : (ومنذ طفولته عاش عيشة ارستقراطية هينة ، كان معتزا بنفسه مع قليل من الانانية ، شأنه شأن سادة الريف في عزلتهم . ولكنه تمكن من النجاة بنفسه لانه لم يصبح مدللا . ان مسرات الصيد والخروج الى العراء ، قوت عضلاته وحافظت على شحمه) .

ولما جاء الوقت للبحث عن الذهب في كلونديك ، سافر جاك لندن الى الشمال وحمل معه بك حملا . لقد سرق بك ، سرقه البستاني الزنيم الذي يشتغل في خدمة صاحب بك ، وباعه في السوق السوداء . ومن هنا فحياة بك القصصية تبدا في حديقة من حدائق كاليفورنيا ، ثم يتوحش . وعلى الضد ، من ابن الذئب ، الذي يفتش عن العالم بانفه ، نراه يبتعد من ذلك ، ثم لا يعود يعرف كيف يتناول طعامه بمخلبه ، بل ينتهي به الحال الى ان يقبع في مكانه الخاص ، منتظرا ان يجلب له طعامه في اناء وهكذا يتعود على حياته الجديدة بالعصا . ويتعلم كيف يدخل معارك الوحوش ، فيقهر (سبتز) لنيل مركز القيادة في الجوقة . وكل هذه الذكريات تبقى متعلقة في ذهنه ، اما توكيده على حقوقه في اللحم فتستدعي ذكريات اوغل في القدم .

(انه لم يتعلم بالتجربة حسب بل بالغرائز التي انبعثت الى الحياة من جديد . ان الاجيال الآتية لم تعد تخطر بباله ، بل تذكر شباب السلالة ، يوم كانت الكلاب الوحشية تقتل فرائسها وتدوسها باقدامها . لم يعد من واجبه ان يعارك كما يعارك الذئب فهذه عادة تبناها اجداده المنسيون . .

وفي الليالي الباردة الهادئة ، كان يشير بأنفه الى احد النجوم ويأخذ بالعواء كعواء الذئب ، كما كان يفعل اسلافه الموتى عبر الاجيـال . . .

وهكذا كدليل على تفاهة الحياة اخذت الاغنية تهـزه هزا . ثم عاد الى ما كان عليه من قبل . انه جاء الى هنـا لان الناس وجدوا مادة صفراء في الشمال ، ولان مانويـل كان مساعدا لبستاني، لا تفي اجوره بحاجات الزوجة والاطفال) وهكذا يتعلم العيش بين الجماعة، ويجد مكان منامه في الثلج وبعد ان يقتل سبتز البدين يصبح قائد الجماعة في غرفة سبتز نفسه ، واول زملائه في السباقات . انه لم يعد يتذكر حديقة كاليفورنيا ، ولا صاحبه الدمث الاخلاق . ثم تعاوده ذكريات عن سيداخر ، سيد مشعر ، عار ، مقوس الظهر ، متأرجح الذراعين . . .

وبعدئذ يصبح في حوزة من يدعى في استراليا (صديق جديد) انه يخدمه بامانة وبحماقة كادت تودي بصاحبها لولا مسارعة جون ثورنتن في اخر لحظة. وبالمقابل ينقذ هو جون ثورنتن من اشتباك وقع له في احد بارات كلونداك. ثم يغدو وحشيا فيبقى خارج المعسكر ساعة او ساعتين ، وتطول المدة الى ليلة وليلتين والى ايام عديدة مرة واحدة، وفي احدى الغيبات يقتل صاحبه على ايدي الهنود . وبمزيج من الاسف والانتقام يعود بك الى معسكر الهنود فيعمل فيه تخريبا وتدميرا ، ثم يلتحق بقوى الوحوش . . .

اما (المخلب الابيض) الذي هو احد الكتب الثلاثة المنشورة سنة ١٩٠٧ فقد كان انجح محاولات جاك لندن للعودة الى (البرية) هذا التعبير الذي صاغه واستخدمه وتفاخر به بحق . واذا ما اقتضت الحاجة صح ان يبقى القسم الاول من الكتاب بمفرده ، ففيه مما يثير الخوف ما ليس في قصة مماثلة لساقي (هو كاتب انكليزي معاصر ومن مؤلفاته قصة باسنكتن غير المحتملة ، المترجم) : اثنان من الناس يغذان السير الى المدينة مع جماعة من الكلاب وجثة صديـق في تابوته . . . وكلما يصبح الصباح يفقد كلب من الكلاب (ان الكلبة الذئبة الحمراء انضمت الى الكلاب وقت الطعام . . . وما لبثت ان اكلت طعامها . . ثم اكلت الكلاب وبعد ذلـك اكلت بل ، كان يمكن للكتاب ان ينتهي هنا ، ولكن ، لحسن الحظ ، كانت هذه نقطة البداية . ويتبع ذلك تربية (وايت فانغ) والاخير سليل ذئاب والكلبة المرتـدة (الحمراء) : ترعرع هذا في عرين تحيط به ثلاثة حيطان مـن الصخر وحائط مواجه لضوء النهار ، وتمكن من البقاء على قيـد الحياة ، في زمن المجاعة ، حين كان كل وحش يصارع غيره حتى الموت فاما ان يقتل او يُقتل، وهذه هي احسن الفقرات في الكتاب . ان والدي (وايت فانغ) يبحثان عن الطعام لاجله، وهو نفسه الجرو الاشهب المتطلع ، يدخل انفه خلال حائط الكهف الرابع ، على حوافي العالم المجهول ، ويقتل الفرخ الصغير الشقي الذي اصبح طعامه بمخلبه الساذج . ثـم يعود هو وأمه الى العالم الانساني ، ذلك العالم الذي فرت منه امه . ومما يجدر ذكره ما يسرد من الحياة بين الخيم الهندية وبين (احياء) كلونداك . ان (وايت فانغ)يؤسس امبراطورية في كل منهما . ثم يقع اسيرا فيبيعه صاحبه الهندي بقنينة ويسكي . وبعدئذ يضطر للعمل في حلبات المصارعة ، لكي يفيد منه سيده الابيض الوضيع بعـض الدولارات . واخيرا وفي وسط احدى المعارك يفتديه سيده العريد ، ويصبح (وايت فانغ) محترما، انيسا في كاليفورنيا حيث تنتهي القصة .

ان في هذه القصة كتابة عظيمة ، وليس فيها فقـرات باردة الى اخر فصل . ان قصة (وايت فانغ) هي حكاية تأنيس مخلوقات (البرية) ، حكاية تكثيف المدنية في حياة حيوان واحد قصير العمر ، ثلاثة ارباعه ذئبي الاصل، وربعه الاخر من اصل كلبي . اننا نرى المدنية في مجرى التطور ، المدنية التي توقف وتشوه ، المدنية وانحطاطها ، وفي الفصل الاخير ، الفصل المليء بالدراما ، المنحدر من الذروة ، نرى تعقيبا مقذعا على مظهر من مظاهر المدنية ، حين يمزق الذئب الانيس احد المجرمين الفارين ، مجرما عاد ليقتـل الحاكم الذي قضى عليه بالسجن .

ومما لا شك فيه ان (نداء البرية) عمل كلاسيكي ، اما ما امتازت به قصة (المخلب الابيض) فهي اهل للزيـارة الثانية التي قام بها المؤلف المبدع . لقد تميز جاك لنـدن بالحكمة والبصيرة حين دبج هذين الكتابين . فما الـذي اودى به الى التعاسة وتناول المورفين بكميات زائدة ؟ اننا لا يسعنا الا الاعتراف بالجميل لان حياة المؤلف المضطربة اخرجت لنا كتابين لن يمكن مضاهاتهما في مجاليهما .

اما قصة (الوباء القرمزي) فهي تعنى بالكائنات الانسانية وردود فعلها ، الردود التي واجهت تغييرا كاملا للمحيط، كالذي عاناه بك حين اقتلع من بيـته في كاليفورنيا . ان التغيير هنا تغيير محطم ، لا مجرد تبديل مشهد ، وهـو يعني انهيار المدنية بسرعة وبلزية مرعبة .

اما سارد الحكاية ، الاستاذ الشاب المثقف ، فيكيـف نفسه للظروف الجديدة تكيفا جيدا . وعلى القارىء ان يحكم بنفسه على درجة الهامه . . . ان القصة انذار عابس لا عن الوباء نفسه بل عن نمو البلوتقراطية الشبيهة بالفاشية، التي هي ، في الولايات المتحدة ، على وشك ان تصبح طغيانا وراثيا . . . ومهما يكن من امر ، ومهما كانت معتقدات جاك لندن ، فالشيء الواضح انه احب سرد القصص ، وان هذه القصة (الوباء القرمزي) تبقى على الزمن حية تثير الخيال والتصور وتدعو الى التأمل والاعجاب .

يوسف عبد المسيح ثروة

اربيل ــ العراق

خـــريــف

* * *

نشر الخريف على الربى   للصمت حين أهل رايه
فاذا الطبيعة كالسقيم   تطيل في بث الشكايه
أزرى بها سوء المصير   وشفها هول النهايه
فنضت مطارفها وألقت   بالمآزر عن زرايه
برمت بما راح الزمان   يعيد من سخف الروايه
ما في الحكاية من جديد   غير تلفيق الحكايه
والريح تعصف في مساربها   وتضرب دون غايه
لا تستقر كتائبه   في القفر يخبط عن ضلال

مدت قيان الدوح من   أغصانها يد ضارع
ونضت على ضجر مطارفها   برعشة خاشع
وتمايلت دون الثرى   أفنانها كالراكع
أو كالفريق هوى به   للقعر سوء الطالع
أو مثلما مال الطعين   أسى لجرح قاطع
اوراقها نتف الغمام   جرت بأفق واسع
وهوت تصفق اذ هوت   بجناح نسر واقع
وتدحرجت كالشلو فوق   الترب من داء عضال

والنهر مزور الخطى   في سيره المتعثر
تلقاه ما بين الرياض   يدور كالمتحير
أو مثلما التوت الخطوط   على يراعة أعسر
ينساب في مخضلة   برقت بثوب أخضر
وبكل مرحلة له   شدو وطول تحسر
وتراه يندب ناشجا   بمدامع المستعبر
والذكريات تثيره   بفرامها المتسعر
فيضيق صدر النهر من   شجن ويصخب عن ملال

والشمس ما بين الغمام   تطل شاحبة نحيله
وتدير عينا كحلت   بلواعج الغصص الوبيله
نظرت مودعة فجاش   الدمع في العين العليله
والصمت ران على الطبيعة   ممسكا بيد ثقيله
فبكى الغمام بعبرة   الثكلى وآهات الذليله
اضواؤها من رقة   رقصت كأشباح هزيلة
وشعاعها شاع السقام   به ولم تنفعه حيله
فهوى يدب كعاجز   أزرى به عبء الكلال

تتناثر الاوراق ضاربة   باجنحة الذبيح
ألوت بجيد مسهد   لما تهاوت كالطليح
ويد الرياح رمت بها   بددا على الافق الفسيح
لتساقط الاوراق في   الاسماع صوت كالفحيح
واطل شيح يرمق   الجوزاء بالطرف الجريح
يرنو وشاهد حاله   يغني عن القول الفصيح
تهتاجه الذكرى بما   راحت تفتق من جروح
ويد الخريف تعيث   بالافنان من خطل الفعال

دمشق   عدنان مردم بك

الحب لا يموت

تمثيلية قصيرة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

(صالون أنيق مزدان بالرياش الفاخرة . سامية مستلقية على مقعد وثير تطالع في مجلة مصورة . . وتسمع وقع اقدام ، ترفع عينيها عن المجلة، وترى امامها الخادم بادية الاضطراب. تحاول ان تقول شيئا . . ولكنها لا تفعل) .

سامية : ما بك ياليلى ؟

ليلى : ستي .

سامية : ماذا تريدين ؟

ليلى : سيدي على الباب .

سامية : ومن سيدك هذا ؟

ليلى : سيدي محمود .

سامية (منتفضة) : وماذا قلت له ؟

ليلى : قلت له انك غير موجودة .

سامية : وماذا قال ؟

ليلى : اصر على الدخول .

سامية (يزداد اضطرابها) : اخبريه انني غائبة .

ليلى : لا يصدقني .

سامية : اصفقي الباب بوجهه .

ليلى : امرك يا ستي .

(تنحني باحترام . وتستدير على عقبيها . ولكن محمودا ينتصب امامها بقوامه الفارع ، وشبابه الدافق) .

محمود : لا لزوم لهذا . انني هنا .

سامية (تقف. وترتسم على وجهها تكشيرة) : ماذا تريد يا محمود ؟

محمود : اريدك انت .

سامية : هذا البيت محرم عليك .

محمود : ما دمت فيه . . . لن يكون محرما علي .

سامية : ارجوك ان تذهب في هدوء .

محمود : انا باق هنا .

سامية : ارجوك . . .

محمود (مقاطعا) : لا توجد قوة تستطيع ان تخرجني .

سامية : اتوسل اليك ان تذهب بسرعة

محمود : يستحيل ان اخرج من الجنة

سامية : واين هذه الجنة ؟

محمود : حيث تكونين .

سامية : فعلا . انك مجنون .

محمود : ليكن

سامية: اكرر توسلاتي اليك لتخرج.

محمود : طردت حواء آدم من الجنة.

ولكن حفيدتها لن تقدر على طرد حفيد آدم مرة ثانية .

سامية : دعنا من هذا الكلام الفارغ.

محمود : امرك .

سامية : والان ماذا تريد ؟

محمود (يصفق بيديه) : عن اذنك دقيقة واحدة .

(تدخل الخادم) .

محمود : اعملي لي فنجان قهوة يا ليلى

ليلى (تنظر الى سيدتها بذهول . . . وتنحني باحترام ، وتغادر الصالون بسرعة) :حاضر يا سيدي .

سامية : اي ريح ساقتك الينا اليوم؟

محمود : ريح الحب يا سامية .

سامية : الحب مات منذ زمن بعيد .

محمود : الحب لا يموت .

(يرن جرس الهاتف . تمسك سامية بالسماع . . الو . ماما . .

حاضر . . لن اتأخر . الغداء في بيت خالي . طيب . بعد نصف ساعة . تكرمي يا ماما) .

محمود : خيرا . ان شاء الله .

سامية : ان والدتي في طريقها الينا لتصحبني للغداء في بيت خالي . عجل بالذهاب .

محمود :لن اذهب الا بشرط .

سامية : ما هو ؟ قل بسرعة .

محمود : ان تخرجي معي .

سامية : هل فقدت عقلك ؟

محمود : حبك افقدني عقلي .

سامية : دعنا من هذا اللغو . اتوسل اليك للمرة العاشرة ان تذهب . لن تستطيع مواجهة امي .

محمود : انني اتحداها .

سامية : ماذا تعني ؟

محمود : سأبطش بها ،

سامية : محمود .

محمود : انني اكرهها من صميمي ،

سامية : وانا اكرهك لانك تكره امي.

محمود : بالعكس . انت تحبينني .

سامية : انت واهم .

محمود : انا على ثقة بانك ستظلين تحبينني الى اخر نفس يتردد في صدرك .

سامية : والبرهان على حبي . . انني رضيت ان اتطلق منك .

محمود : انت لم تتطلقي مني .

سامية : يبدو انك فقدت عقلك عن صحيح .

محمود : امك التي تطلقت .

سامية : انا خائفة منك .

محمود : لا تخافي .

سامية : ماذا جرى لك اليوم ؟

محمود : الحمد لله : انني مالك وعيي ومشاعري وعقلي ايضا .

سامية : لا تزد بلابلي .

محمود : لن ازيدها .

سامية : دعني وشأني .

محمود : وانت لا تنغصي عيشي . تعالي معي .

سامية : يبدو انك نسيت واقعنا .

محمود : وكيف انساه ؟

سامية : يجب ان اذكرك انني اصبحت غريبة عنك . ان العلاقة التي كانت بيننا قد انفصمت .

محمود : لا . . لم تنفصم .

سامية : كنت زوجك ، وطلقتني . هذه كل الحكاية .

محمود : انا لم اطلقك .

سامية (تفتح حقيبتها) : وهذه وثيقة الطلاق .

محمود (يخطفها من يدها .ويمزقها): انتهينا منها .

سامية : ماذا فعلت ؟

محمود : ورقة لا تسلخك من حياتي.

سامية : اين اتزانك يا محمود ؟

محمود : ضاع اتزاني عندما اضعتك.

سامية : انت الذي طلقتني .

محمود : ليس من المعقول ان انتزع روحي بيدي .

سامية : لا علاقة لك بي الان ،
محمود : لنواجه الحقيقة .
سامية : واية حقيقة غير هـذه التي تعرفها .
محمود : يجب ان نعود الى بعضنا .
سامية : مستحيل .
محمود : لن استجدي منك الرحمة. ولن اركع على قدميك انديهمـا بدموعي لتعودي الي ثانية . بـل بكل بساطة اقول لك .. بعد ان افترقنا لمدة شهر ، وضح لي انني لا استطيع ان اعيش بدونـك . كفاني ما لاقيت من عذاب . الموت اهون منه بكثير. لذلك .. استعدي لاعيدك هذا اليوم الى عصمتي .
سامية : كرامتي تأبى علي ان اعود اليك
محمود : لنتحدث بصراحـة .. ان زواجنا دام ستة اشهر .. هـل سمعت مني ذات يوم كلمة نابية ؟
سامية : لا .
محمود : هل قصرت بواجبي نحوك ؟
سامية : لا .
محمود : هل رفضت لك مطلبا مهما كان عسيرا ؟
سامية : لا .
محمود : اما كنت اشتري لك افخر الثياب ، واغلى المجوهرات ؟
سامية : نعم .
محمود : ماذا تأخذين علي ؟
سامية : لا اعرف .
محمود : الم اكن الزوج المثالي الـذي يتفانى فى حب عشه الجميل ؟
سامية : اجل .
محمود : وذكرياتنا المشتركة .. وشهر العسل الذي امضيناه فى القاهرة ، ومئات الاشياء الصغيرة التـي اشتركنا فى حبها ... ايذهب كل هـذا هبـاء ؟
سامية : هذه الذكريات الجميلة اجمل ما عبر فى حياتي .
محمود : وحبنا الذي عاش ثـلاث سنوات قبل ان نتوجه بالزواج .. هل يتلاشى لمجرد كلمة طلاق .
سامية : معك حق .
محمود : الا تحنين الى عشنا المهجور؟
سامية : اني دائمة التحنان اليه .
محمود : هل تستطيعين ان تنسيه ؟
سامية : والله لا يبرح ذهني لحظة واحدة
محمود : افهم من هذا انك لا تزالين تحبينني .
سامية : وهل معقول ان ينطفيء حبي؟ انه اقوى من الحياة .
محمود : اذن اتفقنا .
سامية : على ماذا ؟
محمود : على كل شيء .
سامية : نعم . كل شيء .
محمود : تفضلي معي .
سامية : الى اين ؟
محمود : الى القاضي لاعيدك الـى عصمتي .
سامية : تجربة زواجنا دلت على انه من المستحيل ان ننسجم فى حياة واحـدة .
محمود : ومن انبأك بهذا ؟
سامية : والبرهان على ذلك طلاقنا.
محمود : لولا امك لما كان الطلاق .
سامية : وما دخل امي فى هذا ؟
محمود : افتحي عينيك جيدا . تذكري مواقف الازعاج الكثيرة التي كانت امك تخلقها . الم تدفعك الى طلب الطلاق ؟ الم تنسج حولنا شباكها حتى وقعنا فيها ؟ انها كانت تأتي الى بيتنا مع الصباح ، وتبـدأ بتنغيص عيشي ، واثارتك ضدي بطرقها الشيطانية الملتوية حتـى استحالت حياتنا الى جحيـم . وحتى رأينا اخيرا ان الطلاق خير حكم بيننا . انها امك التي ارادته وسعت اليه ، وحبكت مؤامرتهـا بدقة . وانت انقدت اليها لانـك وحيدتها ، وانسقت مع تيـار الجنون الذي اكتسحها ، وفى ساعة غضب لفظت يمين الطلاق .
سامية : ولماذا فعلت ماما هذا ؟
محمود : لا اعلم .
سامية : وهل توافق على عودتي اليك؟
محمود : لا يهم .
سامية : ماذا تعني ؟
محمود : المهم موافقتك انت .
سامية : وهي ؟
محمود : لن ادعها تطأ عتبة البيـت مرة واحـدة .
سامية: وانا لا استطيع ان افقد امي .
محمود : ستعتادين على هذا .
سامية : مستحيل .
(فى هذه اللحظة يسمع رنيـن جرس الباب . وتدخل الام كالعاصفة. انها كهلة قاسية الملامح) .
الام : ماذا ارى ؟ محمود ؟ ماذا تفعل؟ اكاد لا اصدق عيني ، هل انا فـي حلم ؟ (تفرك عينيها . وتقترب مـن محمود) .
محمود : ابعدي عني .
الام : انه صوتـه .
محمود : نعم . انا صهرك العزيز .
الام : ماذا اتيت تفعل هنا ؟
محمود (ضاحكا) : جئـت لاحسو فنجـان قهوة .
الام : الا تعلم انه لا يجوز ان تطأ عتبة هـذا البيت ؟
محمود : ومـا المانع ؟
الام : انك تتغابى او تتجاهل .. وقاحة
محمود : المهم انني اتيت .
الام : وماذا تريد الان ؟
محمود : زوجتي .
الام : زوجتك ليست عندنا .
محمود : الا ترينها؟ (ويشير الى سامية)
الام : سامية .
محمود : وهل فى الدنيا غيرها زوجة لي؟
الام : انك مجنون . تفضل . (وتشير الى ناحية الباب) .
محمود : لن توجد قوة تفرق بينـي وبين زوجي .
الام : ومن يريد ان يفرق بينك وبينها؟
محمود : انت .
الام : وما علاقتي بـك ؟ انا لا اعرف زوجتك ، ولم ارها فى حياتي .
محمود : ولماذا تتجاهلين؟ الا تعرفين ان زوجتي هي ابنتك سامية .
الام : الذي اعرفه انها كانت زوجتك .. ثم طلقتها .
محمود : بسببك انت .
الام : وما دخلي انا؟
محمود : انت التي حطمت حياتنـا الزوجية .. وكنت تدسين انفك فى

بكل شيء . والانكى من ذلك كله تلفيقك الاكاذيب لتشوهي سمعتي امام سامية .

الام : كفى . اخرج من هذا البيت .

محمود : لقد وسوست لها ان لــي صديقة اتخذت لها شقــة خاصة وابدد عليها الاموال الكثــيرة .
ووضح لنا اخيرا رغما عنا ان الطلاق هو طريق الخلاص لــنا . وتبين لي بعده ان الموت اهون علي من الانسلاخ عن المراة التي لــم يختلج قلبي بحب لانسانة سواها. ولذلك عدت نادما مستغفرا عــن ذنب لم اقترفه حــتى صدقتني سامية .. واعتزمت أن تعود الي ثانيــــة .

الام : هذا مستحيل .

محمود : لا مستحيل فى الحياة .

الام : سادعو الشرطة .

محمود : لماذا الشرطة ؟

الام : لتطردك .

محمود : اهلا وسهلا بالشرطة .

الام : انني جــادة .

محمود : وانا جاد ايضا .

الام : (تتجه صوب الهاتف) : سترى نتيجة اقتحامك لبيوت الناس (تهم ان تدير القرص) .

سامية (تهب من مقعدها . وتنتزع الهاتف من امها): لا ضرورة للفضائح يـــا ماما .

الام (غاضبة) : ما هذا يا سامية ؟

سامية : انني امنعك مــــن الاتصال بالشرطــة .

محمود (ضاحكا) : دعيها تفعل .

الام : لا تتدخلي يا سامية بما لا يعنيك .

سامية : هذا الامر لا يعني احدا غيري

الام : ما هذا الكلام ؟

سامية : ارجوك يا ماما .

الام : اتتمردين علي يا سامية ؟ يـــا خسارة تعبي عليك . انا التــــي ربيتك بدموعي ، ووقفت عليــك حياتي كلها . لقد فقدت اباك، وانا فى نصرة شبابي ، ورفضت الزواج لاتعهدك بحناني،واقف عليك حبي، ومع هذا تعاملينني بهذه القسوة.

سامية : انني رهن اشارتك فى كل شيء

الام : دعيني اذن اطلب شرطة النجدة

محمود : دعيها تفعل . ارجوك يـــا سامــيــة .

الام : ما رايت اوقح منك .

محمود : شكرا .

الام : قلت لك مئة مرة .. لا اريد ان ارى وجهك .

سامية : ولماذا يا ماما ؟

الام : يظهر انك لا زلت تحبينه .

سامية : بصراحة يا ماما..لا استطيع فراقه اكثر من هذا . ان دموعي لا تجف ولوعتي لا تهدأ ، وحبي لا يموت .

الام : وتقولين كل هذا امامي .

سامية : وماذا افعل بعواطفي . انها اقوى مني .. لـــقد حاولت ان اقتلها ، ولكنها كانت اقوى مني . ارحميني يا اماه .

الام : يا مجنونة.. بعد ان فعل بك ما فعل ترغبين فى العودة اليه .

محمود : يشهد الله انني لم افعــل شيئا يؤذيها ..

الام : انت كاذب .

محمود : لتحرقني السماء، ولتخسف بي الارض اذا فكرت لحظة فى ازعاجها بأمر مهما تفه وضؤل .

الام : انه يخدعك يا سامية .

سامية : انا راضية بهذا الخداع .

الام : يستحيل ان ترجعي اليه .

سامية : ما المانع يا ماما ؟

الام : وجدت لك عريسا احسن منــه بكثير .

سامية : لا اريد غير محمود يا ماما .

الام : ولكنك متى عرفت هذا العريس

سامية (مقاطعة) : لا اريد ان اعرف هذا العريس .

الام : ان العريس من لحمك ودمك .

سامية : وانا لا اريد ان آكل لحمــي ودمــي .

الام : ابن خالك فائز .

سامية : وما شأن فائز فى هذا ؟

الام : انه يريد ان يتزوجك .

سامية : يستحيل . انني اعتبــره مثــل اخي .

محمود : كل من يتقدم الى سامــية سأقتلــه .

الام : اسكت .

محمود : لــن اسكت .

الام : ابن خالك احسن من محمود .

سامية : انا راضية بمحمود .

الام : ليس من المعقول ان يذهب كل تعبي سدى .

محمود : اسمعي يا سامية جيدا ..

الام : ماذا تعني ؟

محمود : اعني انك عملت على تحطيم حياتنا عمدا لغاية فى نفسك .

الام : نعم . هنالك غاية سعيت اليها لمصلحة ابنتي .

سامية : وما مصلحتي فى هذا ؟

الام : لقد عاد فائز من اوروبا يحمل شهادة الهندسة ، واتخذ مكتبـــا خاصا به ، ونجحت اعماله نجاحا عظيما . وذات يوم سألته لماذا لا يتزوج ؟ فقال لي : لو لم تتــزوج سامية لتقدمت بطلب يدها . ووضح لي انه يهيم بك حبا . وبما انــــه يفضل زوجك كثيرا عملت علــى تخليصك مــن محمود ليتزوجك فائز .. وهو اوفر منه مالا وجاها وكل شيء .. فهل انا مخطئة اذا سعيت لاجل سعادتك .

سامية (باكية): لماذا فعلت هذا يا ماما؟

الام : لانني توخيت مصلحتك .

محمود : ولهذا السبب عملت علــى تكدير عيشنا والقيت بذور التفرقة بيننا حتى استحالت حياتنا الــى جحيم .. ووجدنا اخيرا ان الطلاق هو الخلاص الوحيد لنا .

الام : يا سامية . انك صغيرة ، وانــا ادرى بمصلحتك منك .

سامية : وانا لا اريد ان كون سلعــة بيــن يديــك .

الام : الانني ابحث عــــن مصلحتك تقوليــن هــذا ؟

محمود : مصلحتها ان تكون زوجتي.

الام : اخرس .

محمود : سأتلقى كل اهاناتك بصدر رحب اكراما لسامية .

الام : لو كنت شهما لما سعيت اليهــا

الحلم المسروق

عفوك يا صغيره
فلاني لا استطيع البكاء ،
ولاني لا أملك الطهارة
التي تقربني من الله
لن اعود اليك
فعبثا تنتظرين
ان قلبي الذي كان
يرتدي الدفء والحياه
مات يا حبيبه
واصبح لحدا منسيا
مكلسا بالموت
والغبار البارد الحزين .
اتذكرين ؟
يوم كان لنا
حلم جميل .. بريء
نزرع به الليل قبابا
من انغام واضواء
اتذكرين ؟
لقد اخذته معي الى المدينه
وضاع
سرقه المقامرون والمومسات
ومنذ ذلك الوقت
وانا فقير .. منبوذ
لا يحبني الناس
والمدينة لا ترحب بالفقراء
لأنها لا تعرف الصفاء والقمر

اللاذقية　　غسان طربيه

لتفسد حياتها .

محمود : سامية لا تصدقك .. قلبها دليلها على انحبي لها فوق الشبهات

سامية : صدقت يا محمود .

الام : انكما تتآمران علي .

سامية : انا اذود عن حقي في السعادة

الام : لن تتوفر لك السعادة الا بالزواج بفـــائز .

محمود : ان فائز صديقي ، وانا اعرف فيه طيبة القلب ، ونبل الروح ، وليس من المعقول ان ينتزع زوجي منـــي .

الام : سامية خلقت له .

سامية (تتناول الهاتف . وتديـــر بعض الارقام) : الو .. مكتـــب المهندس فائز .. صباح الخير .. الحمد الله . ارجو ان تجيبنـــي بصراحة .. صحيح انك اخبرت امي برغبتك بالزواج بي .. مزاح .. معك حق .. محمود خيرزوج لي . اشكرك . مع السلامة .

الام (صارخة) : فائز .. ما شأنه .

سامية : اخبرني انه كان يمزح معك .

الام : يمزح معي ؟

سامية (ضاحكة) : لقد انبأني الان بهذا

الام : بماذا انباك ؟

سامية : اكد لي الان .. انه لم يفكر في حياته بالزواج بي .. ومجـــرد مزحة معك دفعتك الى تهديـــم حياتنا . واكد لي انه يعتبرني مثل شقيقته .. ونصحني بالعودة الى زوجي لانه خير الناس ..

الام : وستعودين ؟

سامية : طبعا .

الام : انا لا اوافق .

سامية : لن تحطمي سعادتـــي . ان ابغض الحلال الى اللـــه الطلاق ، واقترفنا هذه الغلطـــة الشائنة . ويجب ان نصلحها .

محمود : قطعت جهيزة قول كل خطيب

الام : ومن هذا الخطيب ؟

محمود (ضاحكا) : لا تخافي .. لا يوجد خطيب جديد .

الام : يا ليتـــه وجد .

محمود : هل استطيع ان اعرف لماذا تحقدين علي ؟

الام : لانك انتزعت مني ابنتي الوحيدة

محمود : هذه سنة الكون .

سامية : المسالة بسيطة . ستسكنين معنـــا يا ماما .

الام : او يرضى محمود بهذا ؟

محمود : على شرط .

سامية : لا احب الشروط .

الام : ما هذا الشرط يا محمود ؟

محمود : ان تكوني راضية عني .

الام : حقا .. انك طيب .

محمود : اتفقنا اذن .

سامية : على ماذا ؟

محمود : على ان تعودي الي اولا .. ونسكن جميعا معا ثانيا .

الام (مقاطعة) : اذا تم هذا .. تأكد انني لن اتدخل في شؤونكما ابدا . وكل ما اريد ان تأتوا لي بحفيـــد اتسلى بـــه .

محمود : ولكني اريدها حفيدة .

سامية : وانا مثل محمود اريد بنتا .

الام : وانا اريد ولدا .

محمود : لقد بدأ اختلافنا منذ الان .

الام : لتكن بنتا على شرط ان تحمل اسمي .

محمود (ضاحكا) : ولماذا لا تحمـــل اسم امي ..

سامية : لا اسم امك .. ولا اسم امي

الام : انت حرة يا حبيبتي . وليوفقكما اللـــه ..

سامية : من كل قلبك يا ماما .

الام : اجل من كل قلبي .

محمود (يقترب من الام ، ويتناول يدها ، ويطبع عليها قبلة) : انهـــا اجمل قبلة في حياتي .

الام : بارك الله فيك يا بني .

محمود (يتجه صوب الباب ويشيـــر بيده) : الى اللقاء القريب .

سامية : الى اين ؟

محمود : لاعداد ما يلزم لتعودي الـــى عصمتي .

الام : الا تتغدى معنا اليوم ؟

محمود بالتأكيد . اليوم وكل يوم . (ويخرج) .

سامية : انا سعيدة جدا بالعودة الى عشنا المهجور .

الام : واين هذا العش يا سامية ؟

سامية : العش الذي شيدناه على دعائم من الحب المتبادل .. ثم اجترحنا اكبر غلطة في حياتنا عندما هجرناه

الام : لو كنت ادرك مبلغ حبكما لمـــا اقدمت ..

سامية (مقاطعة) لندفن الماضي .. امامنا المستقبل الجميل .

الام : لندفنه الى الابد .

طرطوس　　محمد حاج حسين

الثوب الجديد

•

محمد ابراهيم ابو سنه

•

القاهرة



الحب أجمل ما لبسنا من ثياب
والدفء في القلب المحب
وفي مصافحة الصحاب
لا تظلميه اذا أتى
لا تغلقي في الوجه باب
ان جاء زوجك ليس
يحمل ذلك الثوب الجديد
لا تذكري برد الشتاء
وما يجيء به الشتاء
ولتمسحي عن منكبيه أذى التراب
لن ينفع المطر القليل هناك
للارض الخراب
جاب المدينة في يديه زوابع الريح العقيم
وبكل واجهة تصلي مقلتاه
والرقم يطرده عن الثوب الجديد
ورجاؤه طفل يموت على الطريق
قدماه مثقلتان في قاع عميق
لكأنما حمل المدينة فيها حمل الجبال
لكنه ثقل الليال
والتراتيل الحزينه
متجول باك لدى باب المدينه
كره المصابيح الكبيره
فالعين في الدنيا بصيره
واليد عما يبتغي جاءت قصيره
سيجيء نحوك بارتعاشات الغروب
والحزن في عينيه
نهر اسود غمر الدروب
لا شيء في كفيه
الا حلمه الذاوي على ظل الطريق
قد جف في المقل الحزينة ما لديها من بريق
لا تظلميه اذا أتى ودعي العتاب
لا تغلقي في الوجه باب
ولتمسحي عن منكبيه أذى التراب
ولتتركي هذا الحديث عن الثياب
ما ينفع المطر القليل هناك
للارض الخراب

ارنست همنجواي

بقلم عبد الوهاب عبد الله

في فجر اليوم الثاني من يوليو الماضي دوت طلقة نارية فوق سفوح « وادي الشمس » في ولاية ايدهو بأمريكا الشمالية فتردد صداها في المعمورة: مات ارنست همنجواي وهو يعانق بندقية قديمة . مات الاديب ، وغاب الصياد في مخبأ أسلحته ، وبين امتعة صيده . لقد عز على همنجواي ان يموت طريح فراشه ، فاستقبل الموت منتصبا وكأنه سنديانة ماردة أطاح بها اعصار مفاجيء . لقد زخرت حياة الاديب بأعاصير الخطر وللموت مع همنجواي تاريخ متكرر طويل ، حتى ملأ دورا جوهريا في فنه وفي قصصه . لقد اشرف همنجواي على الموت عدة مرات ولعل آخرها حادث سقوط الطائرة التي كانت تضمه بين ركابها فوق غابات الصيد في كينيا قبل سبعة اعوام حيث اعتقد البعض ان الاديب قد لاقى حتفه ، ونعته الانباء والصحف . ولكن الاديب لم يصب بضرر بليغ وهكذا أتيح له ان يقرا الرثاء الذي قيل فيه وكتب الى احدهم من الذين نعوه قائلا « ... اني اشكرك على نعيك الكريم وفي الحقيقة اني لست جديرا بمثل هذا الرثاء ، وسأبذل قصارى جهدي لان اوفر عليك جهد هذا العناء مرة اخرى ... » (١) بمثل هذه السماحة والانشراح والتهكم يتحدث همنجواي عن غريمه الموت وكأنه يشاطره هدنة مؤيدة .

عرف همنجواي الموت في سن صغيرة عندما كان هاويا للملاكمة في ايام تلمذته ، وفي احدى الجولات تلقى الاديب ضربة عنيفة اطاحت بعينه اليسرى وكادت تفتك به . وعرف الموت وهو متطوع في صفوف الايطاليين خلال الحرب العالمية الاولى في سن التاسعة عشر واصيب بجرح بالغ في ركبته ومنح من اجله وسام الحرب الايطالي . (٢) ويذكر لنا الاديب السوفياتي المعاصر ايليا ايهرنبرغ عن اقدام همنجواي وجراته في الثورة الاسبانية الاهلية عندما كان الاثنان مراسلان صحفيان قائلا « ... لقد رافقته الى الجبهة خلال معركة حاسمة . كانت المعركة الوحيدة التي فاز بها الجمهوريون وكانت الابتسامة لا تفارق وجه همنجواي ... » (٣) ثم تردد همنجواي على جبهات معارك الحرب العالمية الثانية واصطدمت ناقلته اثناء نزول الحلفاء في فرنسا وجرح الاديب في عدة مواضع ثم شفيت الجروح بدون ان تخلف اثرا ملحوظا عليه ، ولكن مما لا جدال فيه ان تجارب همنجواي الدامية مع الموت والدمار تركت ابرز الاثار في ادبه وفنه ، بل يمكننا القول بأن معظم انتاجه الادبي ليس في حقيقته سوى مرآة امينة تنعكس عليها صور الهول والشجاعة والعنف التي خاضها الاديب طيلة حياته . وان ظروف موته في الواقع لا تعدو عن كونها انسجاما مكملا لشخصيته والتي هي جزء لا يتجزأ من اشخاص رواياته وقصصه .

لقد ارتبطت حياة الفنان ارتباطا وثيقا مع انتاجه الفني ، واستلهم الاديب تجاربه من واقع حياته كمنبع فياض لقصصه ورواياته . لقد كتب همنجواي تماما تجاربه التي عاشها ، ثم مات تماما كما كان يكتب ، وكأن حياته صيغت في قصصه كما كانت قصصه نابعة من صميم حياته .

* * *

في عام ١٨٩٩ وعند ضواحي مدينة شيكاغو ولد ارنست ميللر همنجواي من ابوين امريكيين ، وكان والده يمتهن الطب وعرف عنه التشدد والصرامة ، وشجع ابنه في ميوله الرياضية وصحبه معه وهو في سن يافعة الى رحلات الصيد وشب همنجواي وهو مولع بالرياضة وبالصيد ، وعرف عنه ولعه الحماسي الشديد بصيد النمور ، وهوايته لمصارعة الثيران واصطياد السمك . وكتب عدة قصص خصصها لهذه الهوايات من بينها « موت في عز الظهيرة » حول مصارعة الثيران ، وقصة « ثلوج كلمنجارو » حول الصيد في غابات افريقيا ، وقصة « الشيخ والبحر » حول صياد سمك على شواطيء جزيرة كوبا .

عمل همنجواي في بداية عهده الفني كمراسل صحفي لفترة وجيزة في امريكا ثم ارتحل وهو في الرابعة والعشرين الى باريس وهناك عمل كمحرر في مجلة ادبية تصدرها زمرة من الفنانين والادباء من اعضاء الجالية الامريكية في باريس ونشرت المجلة « عبر المحيط » باكورة قصائد همنجواي . وقد اتاح له عمله القصير في هذه المجلة التعرف على هذه الندوة النشيطة من الادباء وشجعه بعضهم لما لمسوا فيه من موهبة ومن كفاءة فنية ونصحوه باعتزال الصحافة والتفرغ الى التاليف .

وفي عام ١٩٢٤ اصدر همنجواي أول كتبه ، وقد ضمنه مجموعة من القصص القصيرة والاشعار بعنوان « في عهدنا » ، وتلاه بكتاب « صخب الربيع » وهو شبيه بما سبقه . ولكنه لم يصب نجاحا ملحوظا غير ان احد النقاد لكتابه الثاني كتب يقول « ... ان بيننا من يتكهن بأن همنجواي سيتزعم الادب الامريكي في المستقبل ويبدو لي ان هناك من البوادر في كتابه « صخب الربيع » ما تشير الى ان المؤلف يكاد يقترب من هدفه ... » (٤) ولم تمض ستة شهور على هذا التنبؤ حتى صدرت

قصة همنجواي « ستشرق الشمس ثانية » ووطدت هذه القصة كيان الاديب وسمعته ورحب اغلب النقاد الامريكيين بها . فقد امتازت بأسلوب واقعي فذ وحوار دقيق مركز ، وكتب الناقد الاديب آلن تيت معبرا عن اغتباطه بهذا الاسلوب المنعش الجديد الذي بزغت اضواؤه على الادب الامريكي قائلا « ... ان همنجواي يترك ابطال قصته على واقعهم بدون حشو مزيف او تمويه متكلف ، وله مقدرة خارقة في التعبير عما يريد كما يحلل شخصيات القصة بأسلوب فذ ... » (٥)

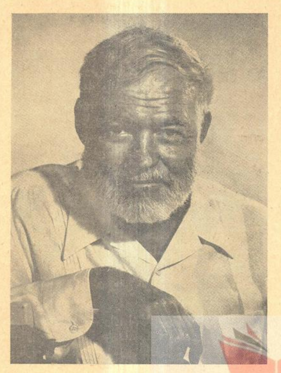
وكتب ناقد آخر « ... لقد اختار همنجواي في منتهى البساطة مجموعة رحالة من الامريكيين في باريس ثم قادهم برحلة عارمة نحو مهرجانات اسبانيا الساهرة ، وهناك تخلى عنهم يهيمون ضياعا في حلقات مصارعة الثيران ... ومن المؤلم حقا ان يبذر كل هذا الاسلوب الرائع في وصف شخصيات تافهة تحيا حياة منحلة ومبعثرة في حانات اسبانيا ... » (٦)

ربما قد غاب عن الناقد آنذاك بأن شخصيات الرواية لم تكن مجرد شخصيات تافهة ومبعثرة كحسب ، بل انها أيضا كانت نماذج حقيقية حية لجيل مريض خلفته الحرب العالمية الاولى وهو على حال اوهنتها الجراح وخاب فيها الامل ، فانحطت العزائم ، وانهارت المعنويات ، وعاش الجيل حياة تكاد تكون خالية من المثل والمبادىء . لقد رسمت ريشة همنجواي صورة صادقة لمجموعة من التائهين بلا وعي ، الهائمين بلا ايمان ، ينشدون خلاصهم في الضياع والتيه ولقد وجدوا في العنف والاستهتار ما اشبع جوعهم وبرد من حرارة التشاؤم في قلوبهم .

ومن هذه القصة ولدت العبارة المشهورة THE LOST GENERATION او الجيل الضائع ، او المفقود ، ولا يزال نقاد الادب الامريكي المعاصر يرددون هذه العبارة اشارة الى ذلك الجيل التائه المفقود الذي شتته الحرب ، وينضوي تحت لواء هذا الجيل زمرة معروفة من الفنانين الامريكيين المعاصرين امثال الشاعر ازرا باوند والكاتب فتزجر لاد وغيرهم من الرسامين والفنانين .

وبعد هذه الرواية وفي عام ١٩٢٩ اصدر همنجواي قصة «وداعا للسلاح» وحازت على قبول شاسع وترحيب بليغ . فقال الناقد هايد براون « ... ان هذه الرواية تفوق اية رواية اخرى قدمها مؤلف امريكي ... » (٧) وقال ناقد آخر ان هذه القصة هي « ... ذروة الادب الواقعي . انها قصة فذة ولا يمكنك اطلاقا ان تتهم المؤلف بالمبالغة ، او بالاختلاق، حيث لا يوجد فيها أي اثر للتعمد او الارتجال ... » (٨)

وفي اعتقادي ان قصة « وداعا للسلاح » هي من بين اجمل ما كتبه همنجواي بما امتازت فيه من حوار حسي ، ومن اسلوب صافي مركز ، ولدراستها الامينة الواقعية لاهوال الجبهة الايطالية. وفي ظل هذه المخاوف



ارنست همنجواي

•

ينمو بين بطل الرواية الجريح المحارب وبين ممرضة متطوعة علاقة حب عارم تكاد ان تنهد امام روعته جميع حصون الرعب التي كانت تحيط بهم وتطوقهم .

وفي موقع من مواقع القصة يرغم المحاربون على التقهقر والتشتت فيستغل البطل هذا التراجع المؤقت ويودع سلاحه لكي يفر مع حبيبته ، ولكن التوفيق لا يحالفه ، فيخسر البطل صراعه مع الحرب وصراعه مع الحب في وقت واحد . ان فرار البطل لم يكن فرارا ارتجاليا ولم يكن بدافع الجبن او الخوف . لقد مهد المؤلف لهذه الخطوة تمهيدا دقيقا وعرض علينا البطل وهو في نقاش حاد مع نفسه ومع ضميره ويتساءل بوعي وادراك عن فظائع الحروب وعن دوافعها واسبابها ، ويلعن الذين اشعلوا نيران الفتنة ثم تخلوا عن الضحايا بكل اهمال وبرود . ولعل همنجواي اراد ان يرينا بأن المزج والخلط بين المثالية والتشاؤم لا بد ان يقود في النهاية الى الفشل والسقوط ، وهذا ما حدث تماما في روايته الاولى والثانية .

تناول بعض النقاد هذه القصة بشيء من التحفظ وعبروا عن اسفهم بأنها تفتقر الى القيم الايجابية الواعية.

وهناك نقاد اخرون يجدون في هزيمة البطل وتراجعه وفشله الذريع عبرة ايجابية ، حيث انه نصب المكيدة الى خلاصه ولكنه وقع ضحية مكائده .

ان نهاية القصة ترينا مرة اخرى كيف يعيد همنجواي نفسه في فنه وفي معانيه حيث ان شخوص الروايتين متشابهة التركيب والجوهر وفي هـذا ما يدعـو الى الاعتقاد بأن الاديب لم يتحرر بعد من تشاؤمه فشخصيات القصة لم يعثروا بعد على هدف محدد ، وان كانت قد اشتدت شوكتهم وزاد مرانهـم ، الا انهـم لا يزالون يتصيدون اللعب في المتاهات ، وان كان لنا في ضياعهم عبرة ، وفي فشلهم درس مرير .

وبعد ذلك وفي عام ١٩٤٠ اصدر همنجواي روايته الفذة « لمن تدق الاجراس » التي تعتبر بحق ذروة انتاجه الادبي . عاد همنجواي مرة اخرى الى ساحات الحرب والحب واتخذ منها ميدانا لاحداث القصة ، وقد استعار همنجـواي العنـوان من الشاعر الانكـليزي جان دان « ... لا تسأل لمن تدق الاجراس فان الاجراس تـدق من اجلك ... » ان معاني الرواية هي صدى معاني هذه العبارة الفريدة .

وقد توفق همنجواي اشد التوفيق فـي استعراض معاني هذه العبارة من تضحية ، ومحبـة ، واستبسال وبطولة وعالجها جميعا على اصدق وجه ممكن . ان القصة سجل دقيق لاحداث دامت ثلاثة ايام بلياليهـا عاشها البطل بين صفوف المحاربيـن الجمهوريين فـي الثورة الاسبانية وفي النهاية يتطوع البطل لمواجهة موت مؤكد ، بدلا من الانسحاب والتراجع .

في موت هذا البطل يظهر لنا الفنان همنجواي لاول مرة بعد ان بلغ سن الاربعين ، في نضوج فكري مكتمل وذي مواهب ادبية فنية خارقة . ولعله اراد بهذه القصة الفذة ان يعلن لنا ان هناك اشياء عديدة في حياتنا جديرة بأن نعيش لها ، ولكن هناك ايضا مثلا عالية الاجدر بنا ان نحميها وان نموت من اجلها . يجمع كثير من النقاد على انه ليس بين جميع ما كتبه همنجواي ما يقارن بهذه القصة الرائعة من قوة ومتانة ومن مثل ايجابية عميقة . نجد في هذه الراوية شخوص همنجواي وقد تركوا التيه والضياع واخذوا يبحثون باخلاص وتضحية عن حلول شريفة عادلة لمشاكلهـم ومآسيهم وهـم فوق كل ذلك مدركون عاقبة الامور ولكنهم يضحون عازمين على النصر .

بعد نجاح رواية «لمن تدق الاجراس» انشغل همنجواي في الحرب العالمية الثانية ، ثم استقر عند نهاية الحرب في منزله في ضواحي مدينة هافانا ، عاصمة كوبا ، ومن هناك اصدر عام ١٩٥٢ قصة قصيرة حول صياد سمك تقدم به العمر واتعبته السنون ولكن عزيمته في الصراع ، وشكيمته وجراته في المخاطر ، تنمو مع الايام ، وتتجلد مع الزمن .

لقد رحب النقاد بقصة « الشيخ والبحر » حتى ان احدهم كتب متعجبا « ... ان كثيرا ما طفرت الدموع من عيني وانا اطالع قصص همنجواي ، ولكني قط لم اتصور ان اقـارب حالـة التهيـج مـن اجل سمكة حقيرة ... » (٩)

يتردد في هذه القصة القصيرة شخـوص القصص السابقة بعد ان حنكتهم الشدائد والمحـن كما انهم لا يزالون في كفاحهم القاسي في ظـل اعرافهم الصارمة وعاداتهم الخاصة المتزمتة ، كما انهـم لا يزالون احيانا يستبدلـون الربح بالخسارة ، ويفضلـون المغامرة في المتاهات على السكينة فى الخمول ، ولعل فى هذا تكمـــن معجزتهم . ومن هذه الراوية يكاد همنجواي يقترب في معانيه من التراجيديا الاغريقية حيث يتسجد في الصراع البطولي الذي يعلو على ملتزمات الحق او على مدعيات الباطل على حد سواء . اي ان الصراع من اجل الصراع فحسب هو فضيلة مكتملة بحد ذاتها وان رسالة القصة تنحصر في تطوير هذا الصراع وتحديده بدون اهتمام جوهري الى النتائج او العواقب وبدون مراعاة مفتعلة للتميز السطحي بين الانتصار او الفشل ، وبين السقوط او النهوض . النهاية هي واحدة على حد سواء ، والجوهر الفني هو في صراع البطل واستمرار هذا الصراع وليس في تغلبه او فشله . وفي هذا المعنى الخلقي نجد ان همنجواي يعبر عن العبارة القائلة « عليـك ان تسعى وليس عليك ادراك النجاح » .

* * *

هذه الكتب التي اوردناها تمثل احسن واهم انتاج الاديب وله عدة كتب اخـرى لا يتسع المجـال لنا في استعراضها خاصة وانها لم تترجم بعد الى اللغة العربية، ومن بينها « رجال بـدون نساء » ، وقصة « المالكون والمعدمون » واخيرا كتاب « ما وراء النهر » .

---

(١) نشرت هذه الرسالة في عدد ٢٩ يوليو سنة ١٩٦١ من مجلة « ساتردي رفيو » ، الصفحة الثامنة . (٢) لم يتوفق همنجواي في تطوعه للالتحاق مع الجيش الامريكي لفشله في الفحص الطبي ، ولكنه اعاد المحاولة مع الايطاليين فقبلوه واستخدموه سائقا في عربة اسعاف. (٣) نفس المصدر الاول في الصفحة العشرين . (٤) الناقد ل. س. موريس في مجلة « نيو ربلك » عدد ٢١ مارس ، ١٩٢٦ . (٥) الناقد آلن تيت في مجلة « ذي نيشن » ، عـدد ٢٨ سبتمبر ، ١٩٢٦ . (٦) الناقد ك. تسيس في مجلة « ساتردي رفيو » ، عدد ٢٧ سبتمبر ، ١٩٢٦ . (٧) الناقد هايد براون في صحيفة « نيويورك تليغرام » عدد ١١ فبراير ، ١٩٢٩ . (٨) الناقد ارنولد بنيت ، في صحيفة «نيويورك تايمس» عدد ٩ فبراير ، ١٩٢٩ . (٩) الناقد روبرت راورك في صحيفة « نيويورك ورلد تلغرآم » ، عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٥٢ . (١٠) الاديب فورد مآداكس فورد في سلسلة الادب الامريكي التي تنشرها جامعة منوسوتا ، العدد الاول ، صفحة ٣٢ . (١١) نفس المصدر السابق ، صفحة ٣٢ ، وقد قام باعداد هذا العدد الاديب الناقد فيليب ينغ .

الهجرة

مترجمة بتصرف عن الشاعر الفرنسي سوللي برودوم كما تقتضيه الصياغة العربية

قلت للانجم المضيئة ليلا ... انت لا شك مثلنا في شقاء
ان في نورك المبدد ، كالطل ، ... بأفق اللانهاية السوداء
لحنينا يشجي الفؤاد صداه ... مثلما حن للديار النائي
وكاني اشيم اني تلفت ... وارسلت نظرة للسماء
سرب غيد من العذارى ونعشا ... أبيض اللون ، فاتن اللألاء
حاملات الشموع قد نشر الحزن عليهن حلة من عياء
اتراكن يا كواكب جرحى ... من سهام ريشت بكف القضاء
ام تراكن في ابتهال ونجوى ... وصلاة عميقة ودعاء
ان ما تريقينه لدموع ... من ضياء لاشعاع من هباء

* * *

قلت : يا جدة الخلائق والارباب ، يا شهب يا حلى الفضاء
لم تبكين : قلن لي بعد صمت ... نحن في عزلة عن الاشياء
كل نجم وان تقارب ناء ... عن اخيه فيا لهذا التنائي
وسنى نورنا اللطيف ضئيل ... لا تراه لواحظ الرقباء
وكذا ضوؤنا المحبب يفنى ... دون جدوى في القبة الزرقاء
لا تبالي به السموات ان شع ولا الارض تحتفي بالضياء
قلت يا شهب قد فهمت فانتن تشابهن أنفس الاحياء
هكذا في الظلام تحترق النفس لنيل الخلود بعد الفناء
غير ان النفوس قد تتلاقى ... من بعيد وحسبها من لقاء

بغداد ... عبد القادر الناصري

أما الكتب التي لم يتم نشرها حتى الان فهي مجموعة « الصيف الخطر » وقد نشر جزء منها في مجلة امريكية، وله ايضا مذكرات خاصة حول ايامه في باريس ويشاع ان هناك قصة طويلة من النوع الذي ذكرناه في قصة « الشيخ والبحر » .

وبالاضافة الى هذا فان من الواضح ان شهرة همنجواي ومقامه في الادب الامريكي يحصنها مساهمته الفعلية الايجابية بتطوير اسلوب القصة الواقعية وصياغة الحوار الحسي المركز . وقد تأثر بهذا الاسلوب الجديد عدد كبير من الذين وجدوا فيه اشباعا مثمرا لحاجاتهم الفنية في امريكا وفي غيرها من البلدان .

يتميز اسلوب همنجواي بالبساطة العارية والوضوح وبالاقتصاد المنهجي في الوصف والعبارة . وقد وصف أحد المعجبين هذا الاسلوب الجديد المتشنج بقوله « ... ان كل كلمة تتفجر امامك وكأنها فقاعة طرية اقتطفت من جدول رحيق ... » (١٠) والحقيقة ان كل عبارة من عباراته تحفل بشحنة موزونة من المعنى والاحساس ، متأتية من اختيار الكلمة الحادة الدقيقة المعنى والعبارة الصافية الجلية . هذا الاختيار الذي اضطره الى اعادة كتابة الصفحة الاخيرة من قصة « وداعا للسلاح » تسع وثلاثين مرة ! (١١)

لقد مات همنجواي ، وبموته انطفأت نجمة كبيرة متألقة ، وجف نهر عريض من انهار الادب في العالم .. بيد ان الثروة الضخمة التي خلفها همنجواي وراءه لشعبه وللعالم ستمحى اجيال واجيال قبل ان تستطيع ان تؤثر عليها ..

نيويورك ... عبد الوهاب عبد الله

ارم ذات العمـاد

من مجموعة بهذا الاسم يعدها الشاعر للطبع قريبا

- ١ -

الحب سراب من اوهام
يا قلب سراب من اوهام
لا شيء بها غير الانواء تؤرقني
غير الآلام
غير الاشباح المفزعة السوداء
تحدق بي في كل مكان
وجهلت الحب
لكن احببت
وبنيت لمن اهوى قصرا
ونثرت بداخله المرمر
وارائك من ذهب اصفر
وحصائر من اغلى الجوهر
ويضارع في الدنيا « ارم »

- ٢ -

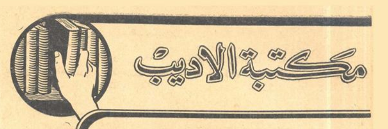
وجهلت الحب
لكن احببت
وركبت بصحراء الحب الجرداء
ومعي زادي
امل للضجر
صبر للهجر
ومشيت اهيم على قلبي
واسائل عنك وعن حبي
فسألت الشمس فما اكترثت
وسألت الدرب فلم ينبي
وسألت البدر يساعدني
فأشاح وغاب من الرعب
والليل سجى
واناخ الصمت بكلكله
وامتد بلقعه الرحب

يا ليل الشوق الا تمضي
اشباح الرعب تؤرقني
ان لاح الفجر سيسعدني
فالصبح سيفترس العتمه
وذكاء مثل عصا موسى
وضياء الفجر سأركبه
واجوس وابحث عن ارم

- ٣ -

وافاق العالم من ليل الاشباح
وتمطى الرمل
وتثاءب في بطء يحكي
وافقت بأمالي الكبرى
وادرت الطرف على الصحرا
ولمحت على بعد ارم
أرض الاحلام المرتقبه
ولمحت على بعد ارم
مهد الاشواق الملتهبه
وملائكة الحب العذري
تترنم في همس نغما
وترف بأجنحة خضرا
فطفقت بلا وعي امشي
خطوات الحب الى عرشي
ما عاد الحب يؤرقني
أو جمر الهجر يحرقني
سأسير الى محرابك يا حلوه
خطوه
خطوه
ما عدت خيالا او حلما

سنار ـ السودان   عبد القادر ابو القاسم



بيـن الادب والصحافة

تاليف فاروق خورشيد ـ ١٥٨ صفحة ـ منشورات الدار المصرية للنشر بالقاهرة

من بين ما قرات في الاسابيع الاخيرة من الكتب الحديثة كتـاب « بين الادب والصحافة » للاستاذ فاروق خورشيد .

الكتاب صغير الحجم « ١٥٨ صفحة » ولكنه كبير القيمة ، وبخاصة فى هذه الايام التي تحدد فيها من جديد قيم ومفاهيم ثورية تتناول بعض قضايانا الادبية والفكرية والصحفية .

يثير الاستاذ فاروق خورشيد فى كتابه هذا بعض القضايا الهامة فى الثقافة والادب والصحافة ، ويسجل فى ذلك كله بعض الظواهر البادية او الواضحة او اللائحة التي يدركها اللماح او المتمرس ، ويخفي امرها على غيره .

يثير ـ فى ازمة الادب ـ ظاهرة تحدث فيها كثيرون : هي اختفاء المجلات الادبية ، رغم محاولة اصدارها مرة بعد مرة « تحت ضغط الخسـارة المادية » . وكذلك اختفاء الشعر ، وانزواء الادب « فى اركان اسبوعية صغيرة الحجم غير جادة المادة » ـ ص ٩ ـ

وما ذكره الاستاذ خورشيد فى ذلك صحيح . ولكني اعتقد ان الصورة تكون اكمل لو انه ذكر ، الى جانب المادة « غير الجادة » سلامة التناول واستقامة التوجيه والغاية .

وقد كتبت في ذلك كلمة صريحة ـ واعتقد انها قد تكون مفيدة ايضا ـ فى العدد الاول من السنة الثانية لـ «وطني» ، ولا اريد ان اعود لما كتبت.

ويثير الاستاذ خورشيد قضية التوزيع الصحفي وتاثيره على الادب ومستوى الصحف ، وتاثير ذلك على « امثالنا » من الجيل القديم المؤمن باهمية الادب ودوره « ومفاهيم هذا الجيل من الصحفيين الذين لايؤمنون الا بالتوزيع وانصراف اصحاب الاقلام القيمة منهم الى المقال السريـع او الريبورتاج المثير » ـ ص ١٧ ـ كما اثار المفهوم الصحفي للقصة بما اعلن عليه فيما بعد ـ ص ١٩ ـ

ومن القضايا الهامة ـ بل المثيرة ـ ما سجله المؤلف وهو يقول :

«وهكذا ظهرت مجموعة من الصحفيين «يعرفون» فى الادب كما يعرفون فى كل شيء .. وهذه المجموعة لا تقرأ لان وقتها منصرف الى تسليـة الاميين » اعني « الدردشة » ... ومن خلال هذه التسلية يلتقطون معلوماتهم الادبية ، ويكونون مفهوماتهم السطحية المقتضبة ويكونوناحكامهم على الادباء... وقد تبلورت هذه المجموعاتفى شلل لها مفهوماتها وآراؤها التي تتحكم فى النشر ، وفى ابراز الانتاج الادبي بل وفى تحديد من هم الادباء الذين يصح النشر لهم على ضوء المعرفة الشخصية بالنسبـة « للشلة » كلها او بالنسبة لاحد افرادها البارزين ، وتحدث المفاجـأة عندما يطبع هؤلاء الادباء الذين تؤمن بهم « الشلل » انتاجهم فى كتب ، ثم تسقط هذه الكتب ، لان قارئي الكتب لا يعترفون لا بمنطق هذهالشلل ولا بمفهوماتها ولا باهميتها كصاحبة رأي فى الحياة الادبية .. ـ ص ٢٢ـ

والقضية، بل التهمة هنا ـقضية الاحتكارـ واضحة فى حديث خورشيد المذيع الصحفي العارف الذي لا يقول الا عن علم وخبرةومعاناة وتجربة .

والنتيجة المؤسفة التي ينتهي اليها صاحب هذه الخبرة والتجربة سجلها بنفسه فى هـذه السطور :

« وهكذا اصبح ادباء الصحافة فى ازمة ، فرغم شهرتهم الواسعة التي تتيحها لهـم الصحافة لا يجدون الاعتراف الصحيح مـن الاوساط الادبية .. بينما اصبح الادباءانفسهم فى ازمة، فرغم اصالتهم وجديتهم يجدون ابواب الصحف مغلقةفى وجوههم ـ ص ٢٢ ـ

وكثيرة هي القضايا الهامة التي يثيرها الاستاذ خورشيد . وهنـاك بعض هذه القضايا اثارها ولم يضع لها حلولا . وكانت كتابته فيهـا عرضا مجردا ، وهو عرض حسن ولكنه يكون اكثر افادة وجدوى لو انه قرن ببعض الحلول العملية او التوجيهات .

من ذلك حديثه ـ ص ٤٥ ـ ٤٦ ـ عن الفرق بين الاسلوب الصحفي والادب ، وحديثه عن ادخال مفاهيم الصحافة في الادب ـ ص ٥٣ ـ وقوله فى ذلك : « وما الصحافة سوى جذب للقارىء عن طريق ارضاء غرائزه واستثارتهاثم اعطائه المفهوم السياسي عن طريق مباشركالريبورتاج، او الصور الكاريكاتورية ، واخيرا عن طريق القصة والمسرحية . » فهو يقرر ـ او يعرض ـ هنا قضية من اهم القضايا التي تتصل بالفكروالادب والصحافة . تتلخص فى ان الصحافة مرآة للرأي العام ـ مهما كان لون تفكيره ومداه ومستواه ـ وليست ـ اي الصحافة ـ موجهة له مؤثرة فيه ، معلمة اياه ، رافعة لمستواه ، مقومة لعوجه . هذه القضية الهامة يعرضها الكتاب ولا نعرف هل يقرها الاستاذ خورشيد أم يردها وينقضها. وان كان يفهم من احاديثه فى مواضع اخرى ، ومن اتجاه الكتاب ومنهجه انه ينكرها ولا يقرها ، نجد ذلك في قوله : «والصحافة رغم كونها صناعة فهي الى حد كبيرمهنة ذات رسالة توجيهية بناءة .. والبناء لا يأتيبالشعار وحسب وانما يأتي ايضا بوضع اللبنة فوق اللبنة باصرار وصبر وتؤدة وبعض التضحية .. ويوم تعود الثقة عند قراء الادب بما تقدم الصحافة تحت اسم الادب فلن يقل اثر هذه المادة الدسمة فى التوزيع والربح عن اثر المواد الخفيفة ، فان بعض الناس يمكن جذبهم عن طريق عقولهـم وعواطفهم ، كما يجذب الاخرون عن طريق غرائزهم وفضولهم وكسلهم.» ـ ص ٥٩ ـ

واعتقد انه كان اولى بنا ان نجد هذا الكلام في موضعه عند عرض القضية .

وفى الكتاب كلام جيدعن الشعر ارجو انيطالعه الشعراء ـ ص٧٣ـ٧٨ـ وكلام اخر جيدايضاعن القصة وذاتية الكاتب وموضوعية القصة، وبخاصة ما جاء فى ص ١٠٤

وقد عنيت عناية خاصة ، بوصفي من كتاب المقال الصحفي الذيـن تطورت عنهم الصحافة ، عنيت بما كتبه الاستاذ خورشيد عن المقـال وبخاصة ما اقتبسه عن « آرثر بنسن » و « هيو ووكر » عن تحديدالمراد من «المقالة» ص ١١١ ـ ١١٧ والمنزلة التي انتهت اليها المقالة الادبية فى صحفنا .

ولا استطيع ان اذكر جميع تلك القضايا الهامة التي اثارها الاستاذ خورشيد فى كتابه هذا ، ولا تلك الاراء المفيدة الصادقة الناجحة التـي عرضها وقررها . لاني اعتقد ان كل كاتب وصحفي لا بد ان يطالعها بنفسه فى الكتاب . وانه واجد فيها فائدة ومتعة وصدقا . ولكنياعرض مثلا مما امتاز به الكتاب من السداد والصدق والشجاعة فى حديثه عـن

بعض الشعارات الصحفية والادبية والفنية التي تذكر وتتردد كثيرا فى ايامنا الاخيرة .

فهو يعرض رأيه عن ذلك عرضا شجاعا قويا منطقي الحجة فى هــذه السطور ص ٥٢

« وقد وجد هؤلاء النقاد الصحفيون انفسهم مضطرين الـى اختلاق قضايا غريبة حتى يستطيعوا ادخال هذه الاعمال فى زمرة الاعمال الادبية، وحتى يستطيعوا ان يتطاولوا على الاعمال الادبية الاصلية ، بل وحتى يجدوا ما يقولونه دون عناء وبحث ، ودون معرفة لمهمة النقد واصــوله وتطور مدارسه ومذاهبه . وما اسهل ما ارتفعت دعاوى الادب للشعب وادب الكادحين ، وما اسهل ما ارتفعت شعارات كتاب الحياة والكتاب الهادفين . وكل هذه الدعاوى الصحفية ببساطة تحطيم تعسفي جاهل للقيم الادبيةوالفنية المتوارثة الاصلية، واصبح الناقد الصحفي بمقتضاها غير مسؤول عن البحث فى الصدق الفني للكاتب ومدى عمق التجربةعنده، وانما اصبح يسأل سؤالا متكررا سخيفاعن الهدف الاجتماعياو السياسي من وراء القصة المنشورة . وكأن القصة مقال صفحة اولى او عامودصغير يلوك فيه صحفي افكار غيره ويكرر نفس الشعارات التي سبق ان كررها من قبل . »

بقيت الملاحظة التي اشرت اليها اول هذا المقال ، واجلت الرأيفيها. وهي خاصة بما ذكره الاستاذ المؤلف عن القصة . فهي ، كما يقول : « فى المفهوم الصحفي حكاية مثيرة ومسلية ، والا فهي ادب محرم . »

واعتقد ان اطلاق الحكم على القصة وموقف الصحافة منهـا غير مستقيم . فنحن نجد بين ما تنشره الصحف قصصا لابراهيم المصري ، ونجيب محفوظ ، ومحمد عبدالحليمعبدالله ، ويوسف ادريس ، وغيرهم، ليس فيها ـ اي فى هذه القصص ـ شيء مما وصف به الاستاذخورشيد القصة فاطلق الوصف . واغلب هذه القصص لهؤلاء المؤلفين ليســت « حكاية مثيرة مسلية » كما قال الاستاذ المؤلف ، بل فيها كثير مما يضعهم فى موضع الاستاذية لفن القصة .

القــاهرة

محمود الشرقاوي

سكرتير تحرير مجلة الازهر

•

عيــــد في البيـــــت

تأليف عبد المجيد لطفي ـ ٦٦ صفحة ـ مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد

هذا هو عنوان الكتاب الذي أصدره الاستاذ عبد المجيد لطفي، والحقيقة انني كلما هممت بارسال كلمة في هذا الكتاب صرفتني عنه اشاغيل طارئة ، او حجزتني صوارف الدنيا من هم وحزن وألم ومرض او عمل بيد اني الساعة حريص على الكتابة في هذا السفر رغم كل ذلك .

والاستاذ لطفي قصاص ماهر يصور لنا الحوادث والشخصيات بغاية الدقة والبراعة ، وفي كتابه هذا نماذج انسانية كما تبدو من خلال الشخصيات الفردية ، فيصور لنا الصراع الاجتماعي ، ويتجه في محاوراته الى التحليل النفسي .

ان قوام كل عمل أدبي هو مطابقة قيمه التعبيرية لقيمه الشعورية وقد صور المؤلف في كتابه هذا الحياة في محيطها الطبيعي وفي هذا المحيط تختلف الاجواء والحالات الشعورية .

لقد ابرز لنا المؤلف فى محاوراته هذه صورا ظاهرة الملامح ، وقد برزت لنا جلية واضحة بعد ان سكب في محاوراته هذه عصارة نفسه، وخلاصة تجاربه ، وقوة منطقه ، ونصاعة تعبيره . فقد جاء في صحيفة (٥) ... غير ان ما لا استطيع ان اتسامح فيه هو فهمي بأن الحرية هي الكرامة فهي لذلك اغلى شيء في الوجود منذ عرفت البشرية المضطهدة رنين القيود ، ولفح السياط ، وظلمات السجون .

وفي صحيفة (٤٩) يقول : (... فان التاريخ مليء بأمجاد الفاتحين ورجال الدم والسفك والقتل والاحراق بينما تقبع ذكـرى العلماء الاجلاء والفلاسفة النبلاء في زوايا يعلوها التراب .... ولعل من المفيد ان اعطي البشرية بعض الحق فما زالت طريق الحرية مسدودة وما زال فتحها بحاجة الى ابطال والى كراديس من البشر يدفعون البوابات العتيدة عن الطريق .. والمؤسف في الامر ان الحرية لا تكاد تظفر بالحرية حتى تجد لها سجانين جددا واعداء خضارمة يحاولون جرها الى الحظيرة المظلمة مـن جديد .. خطـوة خطـوة او دفعة واحدة ...) ويعقب على ذلك في صحيفة (٥٥) فيقول : (.. ولم تكترث الانسانية كثيرا بالطغاة مـا دامت اعمارهم اقـصر من اعمار الشعوب ...)

وفي صحيفة (٥٨) يرجو المؤلف للناس ان يكونوا سعداء فيقول : (سيأتي يوم افضل على البشرية تستطيع فيه ان تجعل الناس سعداء دورهم هانئة واطفالهم اصحاء سعداء والى ان يأتي ذلك اليوم ستبقى الاسلاك الشائكة ، والاسوار العالية والسجون المظلمة تهدد كل من يطمع بشيء من السعادة والعدالة .)

ولكن الشيء الذي استرعى انتباهي وهو ما جاء في صحيفة (٦) قوله : (يجعلهم حاقدين حاردين والكلمة الثانية لا يستقيم معناها مع الكلمة الاولى فمعنى الحرد القصد وقد ورد في القرآن الكريم (وغدوا على حرد قادرين) أي على قصد .)

والحقيقة ان الاستاذ لطفي عرض علينا الفن في محاوراته هذه في ثوب قشيب رائع ، وتعبير ادبي بديع وانك لتجد فيه رشاقة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وسلاسة المنطق .

بغــــداد

عبد الخالق عبد الرحمن

•

ثمـــن الكـــرامـــة

قصة ـ تأليف سلامـة خاطر ـ ١٢٠ صفحـة ـ سلسلة « اقرأ » رقم ٢١٩ ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر القاهرة

هل للكرامة ثمن ؟ وهل ثمنها متاع او مال ؟ أم قصاص وانتقام ودم يراق ؟ عن الكرامة وثمنها تحدثت قصة « ثمن الكرامة » التي أصدرتها دار المعارف بمصر في سلسلة « اقرأ » والتي نسجتها يد صناع ، يد الاستاذ الشاعر سلامة خاطر ، والحق يقال ان نسيجها محكم متماسك، سداه اسلوب سهل سلس ، ولحمته موضوع اجتماعي هاد هادف : شاب في عنفوانه واكتمال صحته وثروته ، تفتح امامه امكانياته هذه كثيرا من طرق الغواية والانحراف .. خمر وسهر .. اصدقاء سوء يلتفون حوله يبتزون من ماله وجاهه .. نساء يحمـن حوله ، ثم يتساقطن صرعى كما يتساقط الفراش حول اللهب والوهج ، ويزهد .. ويسأم .. ويتطلع .. يزهد فيما امتلكه ويسأم ما تحت يده ويتطلع الى شيء منيع عزيز المنال ! ! ثم يرى فـي النهاية حصنا عز عليه اقتحامه .. يرى زوجة قد تحصنت بشرفها وعفافها ، وجعلت من الوفاء لزوجها الشيخ الكبير سياجا يقيها ويحميها ، فـلم تستجب لنزوات العاشق وغوايته .. وعز عليه أن يستسلم ويلقى سلاحه وهو الذي لم يعرف الهزيمة في دنيا النساء ! ! ويركب رأسه .. ويلجأ الى سلاح التهور والاندفاع ـ بعد ان أعياه سلاح الحيلة ـ فيقتحم على الزوجة خدرها واضعا تحت قدميها قلبه .. وأمام ناظريها هداياه

وحلاه ، صابا في اذنيها عذب مقاله ومعسول عباراته . وتقاوم في عنف وفي اصرار ، ويشهد زوجها من وراء ستار هذه المقاومة ويتحقق من حصانتها ويستيقن عفتها . وتبلغ القصة قمتها عندما يصور المؤلف هذا الموقف بين زوج موتور وشاب مغرور مفتون ، وبأسلوب يتأرجح بين المنطق وعنف السخرية وبين قسوة الواقع ومرارة الحقيقة يبرز المؤلف الصراع بينهما ، كما يظهر الاحاسيس والانفعالات التي تنتاب آنئذ كلا من الشيخ المتزن الوقور والشاب المعتدي على حرمة الشيخ وكرامته . ومن الحوار القوي المنطقي في خاتمة هذا المشهد يظهر لنا ثمن الكرامة الذي غرسه ذلك المعتدي المتهور .. وبعدئذ ينهار الشاب، ويلجأ الى الشراب ليسلو وينسى .. ! !

وتتضح نفسية المؤلف الخيرة على حوادث القصة بعد ذاك ، فيجعل الانسانية تسمو ، والفضيلة تتغلب على الاثم ، والخير يمسح بيده فيزيل رواسب الشر وآثار العقوق ، فلا عجب ان رأينا المؤلف يدفع الزوج الشيخ الى ان يمد يد العون والمعونة الى غريمه القديم . ثم يتكلف المؤلف موقفا فيه بعد عن الواقعية وفيــه للصدفة والافتعال مدخل أي مدخل ، فيقحم شخصية عبد الرءوف حسني القاضي ، ليجعل في يدها مفتاح الموقف وحل عقدة القصة التي ترينا ان الزوجة التي هام بها فريد وشغف قلبه بحبها ولقي في سبيلها ما لقي لم تكن في النهاية الا أخته التي باعدت الاقدار بينهما منذ الصغر .

ولو اختار المؤلف من جعبته ـ واعتقد ان في جعبته الكثير ـ لو اختار موقفا آخر غير هذا فيه من الطبيعة والواقعية ما فيه لبلغت القصة الذروة . ومهما يكن فهذا النتوء في بناء القصة لـم يؤثر على روائها .

وقد قدم المؤلف على خلاف العادة زاوية من زوايا القصة وصدر بها قصته وجعلها بمثابة المقدمة ، ليشوق بها القارىء ويدفعه دفعا الى ان يقبل على القراءة ويغريه بمتابعة حوادثها واحداثها وفي ذلك يقول المؤلف بعد ان يعرض هذه الزاوية « مهلا يا صديقي القارىء .. فليس هذا اول القصة .. ! كأني بك تستعجل النتيجة .. ! ! وانت تعلم أن النتائج لا بد لها من مقدمات .. أحس الان انك تشعر بشيء من الاستهجان .. ولكن .. لا داعي لكل هذا .. لانني ما اردت بوضع هذا الموقف في المقدمة الا توجيه خاطرك نحو نقطة التحول في القصة ، ففي هذا الموقف بالذات ولدت القصة .. واعلن اسمها على الغلاف .. »

والمؤلف تغلب عليه طبيعته كشاعر فتلحظ في الخطوات الاولى من القصة أبيات الشعر التي استشهد بها في مواضع من الحوار ، كذلك بعض القطاعات في رأيي كان في حاجة الى تحليل وتعليل وتجلية وبعد عن مقام السرد ، كهذا الموقف الذي تحدث فيه عن كاميليا في سطر وبعض سطر عندما اخذت من فريد مفتاح السيارة وفـرت بها من الطريق العام ، فقد مر المؤلف على هذه اللقطة مرورا عارضا عابرا من غير ان يجليها تجلية نفسية تشبع رغبة القارىء وتطبع الموقـف في نفسه انطباعا .

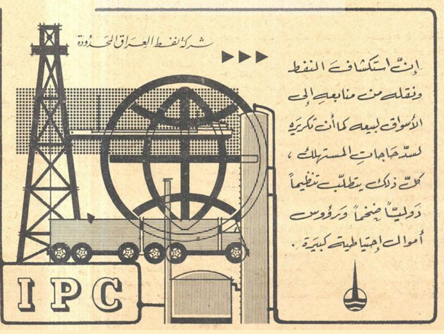
ثم احداث القصة تسير هادئة احيانا واحيانا آخر يرتفع نبضها فتزخر مشاهدها بالحياة والحركة والانفعالات .

على أني بعد ذلك اقول ان القصة ذات أسلوب عفيف ومغزى نبيل شريف خالية من الشوائب خالصة مما يثير الغرائز الدنيا ، اجتمعت لها عناصر الجودة من حبكة وعقدة وتشويق ، لا تبذل ولا انحراف ، بل مثالية والقصة بهذا الوضع اقدمها مثالا لذوي المواهـب القصصية يتخذونه نبراسا يسيرون على هديه ليظهر لهم معالم الطريق ويأخذ بيدهم الى القصة ذات الهدف الجلي والموضوع المحبوك والاسلوب الذي يأخذ بعضه بحجـر بعض والحوار المعبر والتحليـل للمواقف والشخصيات في غير ابتذال او اسفاف .

فليهنأ الاستاذ سلامة بسلامة قصته وبحسبه ما قدمه من جهود في سبيل ثمن الكرامة .

القاهرة

محمود بن الشريف
بمراقبة الكتاب بوزارة التربية





● النافذة المفتوحة : صور من الشرق والفرب ـ مجموعة قصص ـ تأليف الدكتور صفاء خلوصي ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة اللواء ببغداد.

● كرمنا في علين ـ لجورج سكاف ـ الرسوم بريشة بهيجة ـ ١٨٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف لبنان ببيروت ـ مطابع مؤسسة ا. ج. بدران في لبنان .

● الابن ... وسبع قصص اخرى ـ ترجمة الدكتور علي جواد الطاهر ـ ١٢٨ صفحة ـ مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ببغداد .

● المانيا اليوم ـ تأليف فريد ابو شهلا ـ ١٠٤ صفحة ـ مزين بالصور ـ منشورات مؤسسة الجمهور للطباعة والنشر (؟) .

● حياة النبات ـ بقلم طائفة من العلماء ـ ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ـ ٣٤٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● كيف تكون مديرا ناجحا ـ تأليف جيمس منزيس بلاك ـ ترجمة عبد الحليم ثابت ـ مراجعة وتقديم ـ الدكتور محمد توفيق رمزي ـ ٢٧٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار القلم بالقاهرة ـ مطابع دار القلم بالقاهرة .

● السفر الى الفضاء ـ تأليف جين بندك ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ ٦٦ صفحة ـ مزين بالرسوم ـ سلسلة « كتابك الاول » ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● ارشادات لدراسة اللغات الاجنبية ـ تأليف وليم مولتون ـ ترجمة الدكتور عبد الكريم طه ـ ٣٢ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● الانسان والكون ـ تأليف فؤاد صروف ـ ٢٣٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين .

● دراسات في الغذاء الكامل ـ تأليف هيئة من اساتذة ومديري معاهد التغذية ـ ترجمها بتصرف الدكتور محمد الشحات ـ صمم الغلاف امين لبيب رزق ـ ٣٢٦ صفحة ـ جحم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احاديث للمعلمين والمتعلمين في علم النفس ـ تأليف وليام جيمس ـ ترجمة وتقديم الدكتور محمد علي العريان ـ صمم الغلاف احمد محمد منيب ـ ٣٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات عالم الكتب بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● هل تلعب معي ؟ ـ تأليف ماري هول اتس ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٣٢ صفحة ـ مزينة بالرسوم ـ حجم كبير ـ طبع بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر ـ مطابع دار المعارف بمصر .

● الوقت ـ تأليف فيني زايز واليزابيت طومسون ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٤٨ صفحة (مصورة) ـ سلسلة الف باء ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر .

● أغنية العودة ـ مجموعة شعرية ـ سعد البواردي ـ ١٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطابع الرياض في الرياض بالسعودية .

● فلسفة المجانين ـ تأليف سعد البواردي ـ ١٣٦ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطبعة الكيلاني الصغير بالقاهرة .

● شبح من فلسطين ـ تأليف سعد البواردي ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات دار الاشعاع (؟) ـ مطبعة الكيلاني الصغير بالقاهرة .

● الانسان وادواته ـ تأليف وليام بيرنز ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ مصممة رسوم الكتاب يولا هتشيسن ـ مصمم الغلاف منير فهيم ـ ١٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار الادباء بالقاهرة ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر القاهرة .

● من الطيارة الورق ... للنفاثة ـ تأليف ريتشارد و. بيتوب ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٢٠٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ المطبعة العالمية بالقاهرة .

● حتى يحضر الطبيب : مختصر في الاسعافات الاولية ـ تأليف الدكتور لويس هـ. مركر ـ ترجمة الدكتور محمد نظيف ـ الغلاف تصميم جانيت رستم زكي ـ ٢٥٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة .

● الاصوات التي تسمعها ـ تأليف اللا بوندورف ـ ترجمة السيد حامد زعلوك ـ ٤٨ صفحة مصورة ـ سلسلة الف باء ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ مطبعة مصر .

● بنت العم ـ مجموعة مسرحيات ـ تاليف فوزي عبد القادر الميلادي ـ ٨٦ صفحة ـ مطابع رمسيس بالاسكندرية .

● Selected Short Stories of Henry James — Introduction by Quentin Anderson — 384 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● Giants of Science — by Philip Cane — Illustrated by Samuel Nisenson — 288 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● Selected Stories of Bret Harte — Introduction by Arthur Zeiger — 320 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● The Autobiography of Andrew Canergie — 320 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

● The Right of The People — by William O. Douglas — 160 pages — published by Pyramid Books, New York — printed in U.S.A.

جولة الأديب في شهر

ايفو اندريتش يفوز بجائزة نوبل

*

كانت جائزة نوبل للاداب لعام ١٩٦١ من حظ اديب يوغوسلافي هو ايفو اندريتش . وهذه اول مرة يفوز كاتب من يوغوسلافيا بهذه الجائزة العالمية . ويعتبر اندريتش كاتبا لبقا ابدع في سرد حوادث قصصه ، وصور البؤس والظلم والاقطاعية في بلاده ادق تصوير ، كما يعتبر في الوقت نفسه مناضلا مقداما حمل السلاح وخاض المعارك الوطنية في سبيل تحرير بلاده .

أبصر ايفو اندريتش النور في ١٠ تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٨٩٢ في مدينة ترافنيك بجمهورية بوسنيا . تلقى علومه الابتدائية في مدرسة فيزيغراد ، المدينة الساحرة التي كان لها تاثير قوي في بلورة عقليته الفتية . وانهى دراسته الثانوية في مدينة سراجيفو عاصمة بوسنيا . ثم تنقل في جامعات زغرب وفيينا وكراكوز وكراز يحصل دروسه الفلسفية ، الى ان نال في عام ١٩٢٣ شهادة دكتوراه في الفلسفة . وفي زمن الحرب العالمية الاولى اعتقله النمساويون عندما احتلوا بلاده وزجوه في السجن نظرا لنشاطه السياسي البارز ضدهم وارائه التقدمية . وعندما افرج عنه ، انتقل الى جمهوريات صربيا وكرواتيا وسلوفانيا . ثم التحق بالسلك الديبلوماسي ، فعين في روما وبوخارست ومدريد وجنيف وبرلين قنصلا لبلاده . وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية احيل اندريتش الى التقاعد . فانصرف الى الاعمال الادبية يعطيها كل وقته ، ويخلص في العطاء .

نزل اندريتش الى ساح الانتاج وهو في عمر الورود . فاهتم اول ما اهتم بالترجمات . ثم اخذ ينشر مقالات صغيرة في جريدتي «بوزنسكا فيلا والريح » خلال عام ١٩١١ . وفي عام ١٩١٨ ظهر له اول كتاب بعنوان « اكس بونتو » وهو مجموعة مقالات قصيرة وضعها عندما كان في السجن . وهي تمتاز باسلوبها الشعري . وفيها برزت فلسفته التي نادت بالحفاظ على الثقافات القديمة والعمل من اجل استمرارها في مختلف العصور ، والتي دعت الى ضرورة تاثر الجديد بكل ما هو قديم . فالفكرة القديمة استطاعت ان تعيش على ممر الازمنة . وبمقدورها ايضا ان تحمل الافكار الجديدة على ان تتأثر بها . يقول في هذا الصدد :

« صحيح ان اجدادنا تركوا هذه الديار الفانية منذ سنين قديمة . ولكن صفاتهم الخيرة ما برحت تتمثل امامنا لكونها غرست في ارض نفوسنا » .

وفي عام ١٩١٩ نشر كتابا جديدا اسماه « القلق » وهو مجموعة مقالات رجع فيها الى عهد الطفولة ، فتحدث عن ذكرياته الاليمة وامالة الدينية ، والذي يطالع هذه المجموعة يقف على تعلق صاحبها بخالق الكون . لقد خاطبه مرارا ، خاطبه عندما اوصدت الابواب بوجهه . وخاطبه عندما ارشده الى سبيله ، وعلمه الثقة بالنفس والاعتماد عليها. فعائلته كانت معدمة الحال . ونادرا ما كانت البسمة ترتسم على شفتي معيلها . وقد رفرفت فوق سقف منزلها تعاسة لم ينسها الكاتب . انه اطال الكلام عليها . ورسم لقلقه صورا رائعة . ومن هنا يعتبر كتابه هذا سجلا دقيقا لتعاسته الشخصية في مجتمع لم يكن عادلا .

وقبل ان تظهر قصته « جسر فوق نهر درينا » عام ١٩٤٥ ، وضع اندريتش عدة قصص قصيرة طبعت في ثلاث مجموعات ، بين عامي ١٩٢٤ و١٩٣٤ .

اشتهر هذا الكاتب اليوغوسلافي في جميع انتاجاته . وعد من رجالات القلم الشهيرين في بلاده . كانت كتاباته زاخرة بمواضيع حيوية . كانت صورا حقيقية لما عانته امته المسكينة اثناء الحرب العالمية الاولى . كما كانت صورا ناطقة لتصرفات الاقطاعيين الشاذة ، وتوسيع نفوذهم على حساب الشعب الذي هدرت كرامته وضاعت حقوقه . والجدير ذكره هنا ان جميع مواضيعه اخذت من صلب المجتمعات التي تنقل فيها وارتمى بين احضانها ، لا سيما مجتمعات بوسنيا ايام حكم الاتراك فيها . وقد تكلم عن الاتراك ، ووصف جورهم وفظاظة اخلاقهم في قصص قليلة الصفحات ، ولكنها غنية بالمعاني ، ولا تشوب اسلوبها اية شائبة ، كما انه ما نسي ان يرسم لوحات متعددة لمدن وقرى وريف بوسنيا التي احبها .

وترجمت مؤلفاته الى عدة لغات ، منها الانكليزية والفرنسية والروسية والالمانية والصينية والهندية ، واعيد طبع بعضها مرات متوالية . كما ان الصحف الغربية عقدت عنه مقالات طويلة ، حللت فيها شخصيته وادبه الانساني وفلسفته المدروسة. ووضعته في مصاف الادباء الخالدين الذين اخلصوا في تصويرهم مآسي مجتمعاتهم . وقد اسمته جريدة

*

ايفو اندريتش



« لموند » الفرنسية « تولستوي يوغوسلافيا » اثر مقال مسهب نشرته عنه في عددها الصادر في ٦ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٥٦ ، وتناولت فيه العوامل الرئيسية التي جعلت منه ذلك القاص العالمي .

في احدى مؤلفاته نادى ايفو اندريتش ، كما ذكرت ، بفكرة ربط الجديد بكل ما هو تقليدي وقديم . ولكنه في قصته « جسر فوق نهر درينا » بنى لنفسه فلسفة جديدة تنادي بفكرة الدوام . فالجسر في هذه القصة رمز للدوام . لقد مرت فوقه وبجواره اجيال واجيال . واليوم نحن نمر فوقه وبقربه . وغدا وبعد غد يأتي غيرنا ليمر فوقه وبجانبه . فالاجيال الغابرة زالت ، ونحن والاجيال الاتية فيما بعد في طريق الزوال . ولكن الجسر باق . انه باق في وجه التاريخ . انه باق لينقل للاجيال الحالية والقادمة احاديث الانسانية الفائتة . انه يحمل ذكريات حميمة ويحافظ على دوامتها . انه خير شاهد للحروب والفيضانات والثورات واعمال الارهاب التي مرت فوقه ، وخلفت وراءها حكايات فيها وجع وانين ، فيها قسوة وبؤس وانانية . وجوده الدائم القى درسا لا يمكن تجاهله مهما تألبت الظروف ، وهو ان الحياة تبقى في دوامه هو ، رغم انها دائمة الضياع ودائمة الانتهاء .

وفي هذا الجسر يجد القاص ملاذا من فوضى الحياة التي احاطت به من كل جانب . وقد ابدع في تصويرها بعدما احسن انتقاء الالوان . ونال على هذه القصة جائزة الدولة الكبرى في يوغوسلافيا لعام ١٩٤٦ . وواجهات المكتبات تضعها في الصدارة ، كما رأيت ذلك بنفسي عندما زرت يوغوسلافيا في صيف عام ١٩٦٠ .

يقولون ان وراء كل عظيم امرأة . واندريتش هذا العظيم في ما قدم من روائع .. هل اثرت المرأة عليه كما اثرت على غيره من رجالات القلم العالميين ؟

لقد احب واحدة من بلده منذ اكثر من ثلاثين عاما . وكان حبه جارفا وامينا . ولكنه لم يتزوجها الا في العام الماضي . وقد كان لهذه الانسانة فضل واسع في شهرة الكاتب . ذلك انها رافقت اعماله الادبية بسرور ، وسهرت معه على مراجعاته الدقيقة لانتاجاته قبل ارسالها الى المطبعة .

وبعد ، ماذا يبقى من اندريتش ؟

يبقى منه انه اصدق في التعبير عن خلجات وشعور واماني الشعب ، الذي قضى ردحا من الزمن تحت نير اقطاعية غادرة ، وتحت سيطرة غزاة طامعين وظالمين . يبقى منه ذلك الانسان الكبير في عطاءاته ، والسائر في طريق الخلود .

ابراهيم عبده الخوري

•

من وديع فلسطين الى اديب مروة

في يوم واحد تسلمت خطابكم وكتابكم الضخم « الصحافة العربية في نشأتها وتطورها » الذي سددتم به ثغرة واسعة في تاريخ الصحافة . ومنذ تسلمه لم يبرحني لحظة واحدة لاقرأ فيه هذا التاريخ المستوعب الشامل الذي كتبتموه على صعيد عربي عام ، وبذلتم فيه من الجهد والهمة ما تستحقون عليه صادق الثناء ، وما زلت اواصل مطالعة هذا الكتاب النفيس وفي نيتي ان اكتب كلمة عن هذا الكتاب الجليل بعد ان افرغ من تلاوته لانه بالفعل كتاب شامخ اكاد احسدكم عليه ، ولا يسعني الا ان اهنئكم عليه من صميم قلبي ، لا سيما وانكم اوردتم فيه اسماء صحفيين وصحف نسيناها نحن المعاصرين .

القاهرة — وديع فلسطين



أكتوبر ١٩٦١

٢٥ ـ وافق مجلس الامن على قبول منغوليا الخارجية وموريتانيا في الامم المتحدة .

ـ تجدد التوتر واشتد في برلين . دبابات امريكية وبريطانية تتحرك الى الحدود .

ـ تم تبادل الاسرى بين القوات الدولية وقوات كاتانغا .

٢٦ ـ انتخب المجلس التركي الجنرال جمال غورسال رئيسا للجمهورية .

ـ اعرب السودان عن اسفه لقرار اثيوبيا الاعتراف باسرائيل .

ـ كنيدي يعلن عزم امريكا على مساعدة فيتنام الجنوبية .

ـ حوادث التصادم تشتد في برلين . الامريكيون يقتحمون الممر بالقوة والشرقيون يغلقونه .

٢٧ ـ اعلنت امريكا ان اقدام روسيا على نقل دباباتها الى برلين الشرقية يعتبر اقرارا بانها مسؤولة عن هذا القطاع .

ـ تبنت الجمعية العامة مشروع قرار ينص على مناشدة روسيا وقف تجربة قنبلة الـ ٥٠ ميغاطن .

ـ قال خروشوف انه مستعد ان يجتمع بزعماء الغرب للقيام بمحادثات مثمرة لا للسماح للدول الغربية بتأخير تسوية سلمية في اوروبا .

ـ رد جوكس الوزير الفرنسي لشؤون الجزائر على اقتراح بن خده . فقال ان فرنسا تتمسك بمبدأ حق تقرير المصير في جزائر موحدة متشاركة مع فرنسا .

٢٨ ـ وافق مجلس الجامعة العربية على مذكرة سورية باسترداد مقعدها في الجامعة.

ـ احتجت السعودية على الحملات التي تشنها اذاعات القاهرة وصحفها ضد السعودية

ـ انسحبت الدبابات السوفياتية والامريكية من جبهة الحدود في برلين .

ـ اتخذ المؤتمر ٢٢ للحزب الشيوعي السوفياتي أنظمة جديدة للحيلولة دون احتمال ظهور ستالين آخر . وصرح كوزلوف بان الحزب بحاجة لتغيير دمه .

ـ افتتح في طهران المؤتمر العام لمنظمة البلدان المصدرة للبترول .

ـ قال خروشوف ان النداءات العالمية الى روسيا لالغاء تفجير قنبلة ٥٠ مليون طن النووية ليست سوى نداءات هستيرية .

٢٩ ـ صدر قانون الانتخاب الجديد في الجمهورية العربية السورية .

ـ اعلنت لجنة الطاقة الذرية الفرنسية ان روسيا فجرت اكبر قنبلة في سلسلة تجاربها الاخيرة . وهي ضعف قوة قنبلة الـ ٣٠ ميغاطن التي فجرتها في اول الاسبوع.

٣٠ ـ اعلن ادولا ان قواته شنت هجوما على كاتانغا لانهاء انفصالها عن الكونغو .

ـ قرر مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي نقل جثمان ستالين من مكانه بجانب لينين الى مكان اخر .

ـ فاز حزب كرامانليس « الاتحاد الوطني الراديكالي » في انتخابات اليونان العامة .

ـ استقال فون برنتانو وزير خارجية المانيا الغربية .

٣١ ـ شكل رشيد كرامي الوزارة اللبنانية الجديدة .

ـ قال خروشوف : اخطأ علماؤنا ففجروا قنبلة اقوى من الـ ٥٠ ميغاطن .

ـ اغارت طائرات كاتانغا على قوات الجنرال موبوتو .

ـ طلبت روسيا في مذكرة الى فنلندا اجراء مشاورات فورية بشأن ازدياد تهديد المانيا الغربية باستخدام بحر البلطيق نقطة انطلاق للحرب .

ـ توفي في روما لويجي اينودي استاذ الاقتصاد واول رئيس للجمهورية الايطالية .

نوفمبر ١٩٦١

١ ـ تم الاتفاق على تبادل الضباط السوريين والمصريين المحتجزين في مصر وسورية .

ـ اعلن اللواء قاسم ان الجيش العراقي لا يزال في حالة تأهب منذ ٢٨ سبتمبر لمساندة سورية ضد كل طامع .

ـ بمناسبة ذكرى الحرب الجزائرية الوف الجزائريين يتظاهرون في كل مكان . الفرنسيون يطلقون عليهم النار فيقتلون اكثر من ٧٠ .

ـ شكل بن غوريون حكومة اسرائيلية جديدة مؤتلفة .

ـ الغرب يرد على الروس في برلين بأجراءات مماثلة لتقييد الدخول الى برلين الغربية .

٢ ـ توفي الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين وخلفه ابنه الشيخ عيسى بن سلمان .

ـ اضرب بن بللا و٤ من الزعماء الجزائريين المحتجزين في فرنسا عن الطعام وشاركهم في الاضراب جميع المعتقلين الجزائريين حتى يعاملوا كسجناء سياسيين .

ـ اعلن الجنرال موبوتو : توغلت قواتنا ٦٠ كيلومترا في كاتانغا .

٣ ـ وقع في بغداد اتفاق تعاون اقتصادي سوري عراقي ينص على تبادل تجاري واسع

ـ كاتانغا تعلن رد قوات الكونغو المركزية. امريكا تعتبر تشومبي مسؤولا ولا تعترف بالانفصال .

٤ ـ اعلن اللورد هيوم : لدينا طاقة نووية تزيل روسيا من الخريطة ولكن لا يجب استخدام القوة عندما ينتاب أحدنا الغضب .

ـ انتخب يوثان مندوب بورما امينا عاما للامم المتحدة خلفا لهمرشولد .

ـ اشتدت الحركة المناوئة للحكومة الغانية . انفجار عدة قنابل في اكرا .

ـ اعاد كرامانليس تشكيل الحكومة اليونانية الجديدة .

٦ ـ شرطتا برلين تتقاذفان ١٤٤ قنبلة دموع بعد استمرار هرب الالمان الشرقيين الى الغرب .

ـ وصل نهرو الى واشنطن تلبية لدعوة كنيدي وبدأت محادثاتهما في موضوع التجارب النووية ثم القضايا الاسيوية والعالمية .

٧ ـ صدر قانون بحل مجلس الامة في مصر . وأعيد العمل بالدستور المؤقت حتى وضع الدستور الدائم .

ـ اعلن ديغول : الحل الجزائري على الابواب . المفاوضات قريبة دون شروط مسبقة . فليتحد الفرنسيون والا ضاعت أمتنا .

ـ أعيد انتخاب كونراد اديناور مستشارا لالمانيا الغربية للمرة الرابعة .

ـ جرت محاولة انقلاب عسكري في اكوادور بعد اعتقال نائب الرئيس وقيام مظاهرات دامية .

ـ صرح خروشوف : تجاربنا النووية مضرة بالصحة ولكن وقفها رهن بنزع سلاح شامل .

٨ ـ شن انور خوجا رئيس وزراء البانيا حملة مضادة على خروشوف ، معلنا تعلق البانيا بستالين .

ـ استقال رئيس جمهورية الاكوادور خوسيه ماريا فيلاسكو تحت ضغط الجيش الذي تسلم زمام الامن . نصب العسكريون

تولبدو رئيس المحكمة العليا رئيسا وعارض الكونغرس وانتخب نائب الرئيس اروسمينا رئيسا .

– دعت غانا اللجنة السياسية للامم المتحدة الى اتخاذ اجراء عاجل بشان مشروع قرار اعلان افريقيا منطقة حيادية مجردة من الاسلحة النووية .

٩ – عقد السياسيون السوريون مؤتمرا سياسيا بمناسبة قرب الانتخابات لاعداد ميثاق وطني سوري على اساس اربعة أسس للحكم .

– وصلت الى اكرا الملكة اليزابيت في زيارة رسمية لغانا .

– سلاح الجو في الاكوادور تدخل وفرض اروسمينا رئيسا للجمهورية واضطر توليدو للاستقالة .

– صادقت الجمعية العامة على اقتراح امريكي بريطاني لاستئناف المحادثات النووية فورا بين الشرق والغرب .

– انتهت محادثات كنيدي ونهرو واعلن كنيدي ان المحادثات كانت قيمة للغاية .

١٠ – وصل وفد اقتصادي سوري الى الرياض لاجراء مفاوضات اقتصادية مع المسؤولين .

– اعلن نهرو في الامم المتحدة ان جميع المشاكل الدولية يمكن تسويتها سلميا وحذر زعماء العالم بان عليهم اما ان يضعوا حدا لخطر التجارب الذرية او ان يعيشوا كالجرذان تحت الارض .

– طلبت ٣٢ دولة الى الامم المتحدة ادانة البرتغال لرفضها تزويد المنظمة الدولية بالحقائق عن مستعمراتها في ما وراء البحار .

١١ – ألغيت اسماء المدن الروسية المنسوبة لستالين واعيد الى ستالينفراد اسمها القديم نوفوكوزنتسك .

– قال كنيدي ان الطريق الوحيد للحفاظ على السلام هو ان نكون مستعدين للقتال .

– المارشال مالينوفسكي وزير الدفاع الروسي يحذر من هجوم مباغت على روسيا ويصرح بان احداث السنوات الماضية تظهر ان بالامكان تجنب الحرب في هذا العصر .

– قامت مظاهرات في الرباط لاطلاق سراح بن بللا ورفاقه واحرق المتظاهرون السفارة الفرنسية .

١٣ – قال نهرو انه يعتقد بان الحرب غير محتملة الوقوع وعزا ذلك الى ان الروس اصبحوا دولة محافظة وانهم يريدون السلام.

– اعلن بو رقيبة ان القتال ينذر بان يتجدد مع الفرنسيين اذا لم يعينوا موعد الجلاء عن بنزرت وسائر الاراضي التونسية.

– حالة بن بللا ورفاقه اصبحت خطيرة وهم يرفضون العلاج . وقد اعتقلت السلطات في باريس ٣٢ من جامعي التبرعات للمجاهدين الجزائريين وصادرت مليون دولار

– ارسلت امريكا وبريطانيا مذكرتين الى روسيا تدعوانها لاستئناف مفاوضات حظر التجارب النووية .

١٤ – اعلن ماكميلان : تحسن مفاجىء في برلين وتقدم لتوحيد سياسة الدول الغربية.

– اعلن اللواء قاسم ان وضع الدستور الدائم للعراق يبدأ بعد اسابيع تمهيدا للانتخابات مؤكدا ان العمل سيكون متاحا للجميع .

– استقبل ديغول وفدا مغربيا رسميا اوفده الملك الحسن للبحث في إنهاء مأساة بن بللا ورفاقه الذين نقلوا الى المستشفى .

– الرئيس السوفياتي بريجنيف غادر موسكو الى الخرطوم في زيارة رسمية للسودان

– اعلنت امريكاعن اتفاق جديديقضي بارسال مواد زراعية الى العربية المتحدة بقيمة ٢١ مليون دولار .

– اعلنت الامم المتحدة ان قسما كبيرا من شمال كاتانغا اصبح في ايدي قبائل بالوباكات الموالية للحكومة المركزية . وطوقت قوات الكونغو القوات الدولية في مطار كيندو بعد اشتباكها معها وجردتها من السلاح .

١٥ – تمرد ٧٠٠ جندي كونغولي شرقي الكونغو واجتاحوا مدينتي كنيدو والبيرفيل اعتقلوا اوربيين وافريقيين ونهبوا وسلبوا .

طار قائد الجيش لوندولا مع عدد من المسؤولين الدوليين لمفاوضة المتمردين ولكنهم اضطروا للهرب .

– تقررت الموافقة على زيادة القوات الاطلسية من ٢١ الى ٢٦ فرقة .

– طلبت النمسا من الامم المتحدة تأليف لجنة دولية للتحكيم في نزاعها مع ايطاليا على البترول الجنوبي .

– صدر بيان مشترك اثر زيارة نهرو للمكسيك جاء فيه ان برامج نزع السلاح التي عرضت على الامم المتحدة لم تكن عملية ويجب وضع مقترحات جديدة .

١٦ – قتل الجنود الكونغوليون المتمردون ١٣ طيارا ايطاليا من القوات الدولية بعد تعذيبهم بوحشية .

– اضربت البلاد العربية وقامت المظاهرات لمساندة الجزائر واستنكار اساءة معاملة الزعماء المعتقلين .

– فاز ديو سدادو ماكاباغال برئاسة جمهورية الفلبين .

١٧ – جددت اليمن لثلاث سنوات اتفاقها الاتحادي مع مصر .

١٨ – وصل المارشال تيتو الى القاهرة بدعوة من عبد الناصر كما يصل اليها نهرو في طريق عودته من امريكا الى الهند .

– اعلن بريجنيف رئيس جمهوريات السوفيات في الخرطوم ان روسيا ترغب في شراء جميع المنتجات السودانية مقابل جميع السلع الاجنبية التي يحتاج اليها السودان

– وافق كيكونين رئيس جمهورية فنلندا على اقتراح الحكومة بأن يسافر الى موسكو ليبحث مع خروشوف في الوضع الناشىء بين البلدين .

– ارسل تشومبي برقية الى يوثانت السكرتير العام للامم المتحدة يعرض ان تعقد مفاوضات مباشرة بين كاتانغا وحكومة الكونغو المركزية .

١٩ – مر نهرو ببيروت في طريق عودته الى الهند .

– اعلنت حالة الطوارىء في الدومنيك بعد فشل محاولة انقلابية وقد تجولت المدمرات الامريكية امام الشاطىء لدعم رئيس الجمهورية جواكين بالاغر .

– تم تبادل الدفعة الاخيرة من العسكريين السوريين والمصريين التي جرت باشراف الجامعة العربية .

– اصيب الملك سعود بعارض صحي مفاجىء ونقل الى مستشفى الظهران للمعالجة

٢٠ – انهى بن بللا ورفاقه اضرابهم عن الطعام كما اوقف ايضا حوالي ٤ الاف معتقل جزائري اضرابهم بعد ان وافقت فرنسا على معاملتهم كسجناء سياسيين .

– صدر بيان تيتو ونهرو وناصر المشترك وفيه تعبير عن القلق من امتداد التوتر العالمي والتجارب النووية .

– صرح نهرو ان الصين الشعبية قامت باعمال توغل جديدة على حدودها مع الهند. وقال ان امريكا وروسيا متباعدتان نفسيا .

– شكل عصمت اينونو الوزارة الائتلافية التركية الجديدة .

٢١ – استقال الدكتور مامون الكزبري رئيس الحكومة السورية كما استقال عدد من الوزراء لتقديم ترشيحهم للانتخابات . واعاد نائب الرئيس الدكتور عزت النص تشكيل الحكومة .

– اقرت اللجنة السياسية مشروع قرار يحث امريكا وروسيا على اجراء محادثات خاصة لتشكيل هيئة مفاوضات لنزع السلاح.

– وافقت روسيا بشروط على مفاوضات حظر التجارب النووية .

– يدور قتال عنيف بين قوات فييتنام الجنوبية وثوار فييكونغ الشيوعيين .

٢٢ – وصل الملك سعود الولايات المتحدة ودخل المستشفى في بوسطن للمعالجة . وتولى ولي العهد الامير فيصل الحكم اثناء غياب الملك .

– اعلن كنيدي واديناور في بلاغ مشترك انهما متفقان على المبادىء الاساسية لايجاد مفاوضات لتسوية ازمة برلين اذا كان هناك اعتدال من جانب روسيا .